من الأدب الساخر

# صايع بالوراثة

يوسف معاطي





الدار المصرية اللبنانية

# صايع بالوراثة

يتضمن هذا الكتاب 39 موضوعًا من الموضوعات التي تتناول نقدًا خفيف الظل لعديد من الظواهر والسلوكيات الاجتماعية السائدة في عالمنا المعاصر، كتبها الأستاذ يوسف معاطي بأسلوبه المتميز بالقدرة الفائقة على السخرية من تلك الأوضاع المعيبة.

ويقول في مقدمته لهذا الكتاب: إن "الصايع" الآن لم يعد ذلك العاطل البلطجي الذي ليس معه بطاقة ويحمل في جيبه مطواة .. وإنما الصايع في زماننا هذا عنده بطاقة وباسبور وفيزا كارت .. ويحمل في جيبه دفتر شيكات .. وحوله مجموعة من الحرس والبلطجية يخدمونه ويحرسونه!.

وعلى الرغم من أن الموضوعات المعروضة في هذا الكتاب تبعث على الابتسام والضحك في نفوس القراء، إلا أنها تثير فيهم حس التأمل في تلك التجارب الإنسانية وتبين لهم ماهو الصالح منها، وماهو الطالح!.

- الأستاذ يوسف معاطي كاتب ساخر يعرفه قراء الصحف والمجلات .. ويستمتع بأعماله الكوميدية مشاهدو التليفزيون ورواد السينما والمسرح.
- وقد أصدرنا له من قبل مجموعة من كتبه في الأدب الساخر، أشهرها: الفن وأهله .. عفاريت - صايع بالوراثة.. وهي كتب متميزة حازت إقبالاً من القراء في مصر والبلاد العربية.
- من أشهر مسرحياته الكوميدية: حب في التخشيبة.. الجميلة والوحشين- بودي جارد - بودي جارد - بهلول في استامبول - لألا بلاش كده - وهي مسرحيات ناجحة قام ببطولتها كبار نجوم الكوميديا.
- كما كتب العديد من قصص وسيناريوهات الأفلام السينمائية الكوميدية أشهرها: رمضان مبروك أبو العلمين حمودة .. حسن ومرقص .. طباخ الريس - التجربة الدانمركية - عريس من جهة أمنية- السفارة في العمارة - الواد محروس بتاع الوزير- ياأنا يالخالتي - حاحا وتفاحة.
- كما ألف عددًا من المسلسلات الناجحة التي كان لها أثر كبير داخل المجتمع العربي مثل: يترب في عزه .. عباس الأبيض في اليوم الأسود - سكة الهلالي.

الدار المصرية اللبنانية

من الأدب الساخر

# صايع بالوراثة

يوسف معاطي



الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة.. للمقدمة

لم يعد الصايع الآن.. هو ذلك العاطل البلطجي الذي ليس معه بطاقة وفي جيبه مطواه قرن غزال.. فالوصف السابق ينطبق على الغلبان.. أما الصايع بتاع القرن الواحد والعشرين فعنده بطاقة وباسبور وفيزا كارت.. وفي جيبه دفتر شيكات.. وحوله الحرس والبلطجية يخدمونه.. ويحرسونه.. اتفقنا على التعريف.. إذاً.. فأنا لا أدعي الصياعة ولا أدعي الغلب أيضاً ولكن كثيراً ما وصف بعضهم مقالاتي وهم يمدحونها.. بأنها مقالات صايعة قوي.

فلما كان أبي «غلباناً» معتمداً.. لم أرث منه الصياعة.. فمن أين ورثتها؟.. ربما من المازني.. أو من جليل البنداري.. أو من محمد عفيفي.. ربما كنت صايعاً «شموردة» أحبو في حارة السعدني أو برناردشو أو مارك توين.. ولما تهت في المقدمة.. وجدت أنني يجب أن أعرض نفسي على دكتور.. والدكتور

مدحت أبو بكر.. الناقد والمبدع متخصص فى السيكودراما.. أو فى التحليل النفسى للأعمال الفنية.. فذهبت إليه.. وعرضت عليه الكتاب فوضعه على الشيزلونج كما يفعل كل الأطباء النفسيين.. وبدأ يعمل تحاليله.. وآشعته.. ويكتب روشتته.. اتفضلوا.. فى أوضة الكشف.

**يوسف..**

# أجمل صايع على أرصفة الحياة
# رؤية نفسية شوارعية

*

كل بنى آدم فى الدنيا له شعور، يعنى ما يعيشه ويعايشه حاليًا، ولا شعور، يعنى الخبرات الماضية المرمية فى المخزن النفسى، يوسف معاطى هو البنى آدم الوحيد فى الكون الذى يمتزج شعوره بلاشعوره ويتبعثر صادقًا ضاحكا صريحًا مريحًا على الورق، كده زى ما خلقه ربنا، وبالتركيبة النفسية التى لا يخجل من مصارحة الناس بها؛ حيث يصطحب الجميع فى رحلة داخل ذاته دون أن يتعمد أن يخفى شيئًا، يوسف يفتح أبواب ذاته فتجده شقة مكركبة لا يعنيه أن ينظمها أو يرتبها أو يجملها، فجمالها فى كركبتها وروعتها فى صدق تكوينها كما هي، ويبدو ذلك مثل شمس أغسطس فى آخر عنقوده الفكرى - أطال الله في عمره - صايع بالوراثة، إنه الناقد الذاتى الأول لنفسه، تأمل ماكتبه بعنوان قمة الفشل، والنقد الذاتى أبرز ملامح النضوج النفسى ومصالحة الذات.. جو مصالح نفسه تمامًا لدرجة اعترافه بعناصر الضعف النفسى الإنسانى، التى قد يعتقد البعض أن إخفاءها

قوة نفسية، بينما الحقيقة أن الإخفاء قمة الضعف النفسى. تأمل «النهايات المفتوحه» فهو يؤكد أنه يكره النهايات المفتوحة، بينما ينهى ما قاله، وينهى الكتاب كله بنهاية مفتوحة، إنها الازدواجية الإنسانية الجميلة.

يوسف معاطى دبور فى حدائق الإبداع يستدعى قراءاته وتجوالاته ورحلاته، ويلتقط الأفكار، ويمنحها رحيق هذه التركيبة الجميلة سخرية فلسفية الملامح، ثرية المعلومات، مدهشة التركيبات اللغوية، فاتحة بقها ع الأخر. وتدعوك أن تفتح قلبك وبقك ومشاعرك ع الأخر؛ حتى تستمتع بكل ما يقذفه يوسف معاطى بإنسانية صريحة فى إنسانيتك.

صايع بالوراثة.. عصير تجربة إنسانية تجعلك تعشق الصياعة والتسكع فى شوارع الضحك، والجلوس على أرصفة الفن والأدب والفلسفة البسيطة الجميلة، وجو فى هذه الصياعة يعترف أن التركيبة النفسية التى قدمتها نظرية فرويد للتحليل النفسى، تمتزج فيها رغبات وغرائز الهو وتوازنات الأنا ونصائح الأنا الأعلى.. هذا هو الانسان وهذا هو يوسف معاطى، أجمل صايع بالوراثة وبالخبرة ويعشقه لكل أرصفة الحياة.

**أخوك الصايع برضو**

**د. مدحت أبو بكر**

# قمة الفشل

أعزائى.. لقد احتجت إلى اثنتي عشرة سنة كاملة من الكتابة حتى اكتشفت وتأكدت أننى كاتب فاشل.. ولكننى مع ذلك لم استطع أن اعتزل الكتابة فقد أصبحت مشهوراً.. وعموماً.. أنا مازال عندى أمل.. ليس فى أن أصبح كاتباً جيداً.. وإنما.. ربما.. بعد سنوات طويلة من موتى يرانى بعضهم كاتباً لا بأس به.. وكما يقول سومرست موم الكاتب الفذ.. القصة الجيدة لابد أن تكون قديمه والقصه الجديده لابد وأن تكون رديئه.. لقد جئنا متأخرين وأنا لا أريد حكمكم الآن، انتظرونى بعد أن أعتق وأقدم.. عندها ستكتشفون فى أشياء أنا نفسى لم اكتشفها.. وحتى إذا لم تكتشفوا هذه الأشياء فلن يعنينى هذا.. سأكون ميتًا..

جلس ثرى أمريكى وزوجته فى دار الأوبرا بباريس يشاهدان رواية لفيكتور هيجو، وفى الاستراحة هتف الرجل لزوجته وهو يشير إلى كهل له ذقن طويلة بيضاء.. انظرى هذا هو فيكتور هيجو الكاتب العبقرى.. قالت الزوجة.. مستحيل.. إن فيكتور هيجو ميت منذ

فترة طويلة، فنظر الرجل إلى الكهل ثانية.. وقال.. ولكن.. انظرى.. إنه يتحرك! والخطأ الذى يقع فيه بعض الكُتّاب أننا إذا كتبنا مقالا أو قصة أو مسرحية نتصور - فى هبل - أن الدنيا كلها لاحديث لها سوى هذا العمل الفنى.. وهذا فى الواقع لايحدث.. فأغلبية الذين يقرأون مقالات يولد بداخلهم ذلك السؤال الأزلى ماهذا الهراء الذى يكتبه؟!

وعموما هذا أهون مما حدث لونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى الأشهر.. حينما كان راكبا القطار ودخل عليه شيخ مسن، وجلس أمامه وظل الشيخ يحملق فى تشرشل.. ثم قال كمن تذكر شيئًا.. اعذرنى ولكن ألست أنت مستر تشرشل الذى كان معى فى مدرسة هاو الابتدائية عام ١٨٨٤؟ فأجاب مستر تشرشل بالإيجاب.. فقال الشيخ فاتحًا ذراعيه فى ترحاب وهو يقول أهلاً.. بصديقى القديم.. اين أنت أيها الصديق طوال هذه المدة ستون عامًا لم أسمع عنك شيئا.. وشغال فين دلوقتى؟!

والقصة على طرافتها تعكس أمرًا بالغ الأهمية.. وهو أن أحداً لايشعر بأحد مهما فعل.. وهذا العالم الذى يسمونه قرية صغيرة بعد ما يسمى بالعولمة كذبة؛ إذ إن كل بنى آدم فيه يمثل وحده مجرة كبيرة لا أول لها ولا آخر..

وللحق.. هناك طوائف تأخذ حقها تالت ومتلت فى حياتها وترى

محدش بعيبها. هؤلاء هم السياسيون ونجوم الرياضة ونجوم السينما. أما أمثالنا من الكتاب... وأعني هنا المشتغلين أيضًا ... فمفيش داعي للإشارة إليهم بعد موتهم... بل إن عبقريًا مثل سرفانتس صاحب «دون كيشوت» الرائعة مات وهو مديون بطوب الأرض وغيره كثيرون... ولكن هناك استثناءات بالطبع... فمثلًا الساخر الأكبر برناردشو كان مرتش ودفيان وما يفتحش بقه... ولا يكتب حرفًا إلا لما يأخذ الطرف.

ويقال إنه كان يلقى حديثًا اشتراكيًا شديد اللهجة في لندن قال فيه: حينما دخلت القاعة لمحت سيارة رولز رويس تساوي آلاف الجنيهات فهل من العدل أن يترك كل هذا المال لفرد واحد... وملايين الجوعى في العالم؟ اذهبوا وتأكدوا بنفسكم من الأمر وأحسبوا... أليس من الأفضل أن ينفق هذا المال لجعل حياة الفقراء أفضل؟. وهنا نهض الحاضرون والشرر يتطاير من أعينهم، وقد بدا أنهم موشكون بالفعل على أن يحطموا السيارة. هنا قال لهم شو: اهدأوا قليلًا... أنا قلت شوفوها بس.. دي عربيتي أنا... واللي ح يجرحها ح أعوره.

ولكن برنارد شو الساحر الملبوير كان استثناء من القاعدة لأنه كان نجمًا بحق... بسحره.. بتأثيره في الناس.. بعلاقاته... بملابسه...

أما أي نجم سينمائي أو نجمة سينمائية، فهما محاصران بالشكر ليل نهار... حتى بعد موتهما... مجلات تفرد أعدادًا خاصة عنهم

سهرت التليفزيونية كنت ومذكرات ويقال إن الناقد الفرنسي دخل
مقهى المثقفين في باريس وكان جريئا وسأله أصدقاؤه ماذا حدث،
فقال ألا تعرفون أن الصحفية الرائعة كورسيدس ماتت فذهل الجميع
وأخذوا يتحدثون عن مواهبها ورقتها وأفلامها الرائعة . وبعد
ذلك بيومين نفسها تدخل المقهى، وقبل أن يفتح أحدهم فمه قال
الناقد الفرنسي هي إنها لا تعرف بعد ما حدث يقول لها
حللونا ندرج لها الموضوع.

إن بعد اثني عشر عاما من الكتابة والكشف المشي تؤكد
للملايين ولا تأثير ولا حتى علاقات وإذا ذهبت لأحد الفرصة
حدث حولها ليس لها نصيب فإن استمر في هذا العيش طال
أني وصلت الى قمة وسوء النية صعب سواء في القتل أو في
النجاح فهم المحروقة عليها

في المساء عدت إلى منزلي كنت وحتى جالسة مع صوفها
تتسلى بآخر كتبي الذي لم يشتره أحد منهم بالطبع وجلست معهم
ودخلت الخادمة فسألتها هل زار أحد سيمون، وأنا بالخارج؟
فأجابت نعم يا سيدي سمير العربي الفصل فأجبتها بكل
ثم لصوف به شرف عظيم، وماذا كان يطلب محامة السمير؟
فأجابت الخادمة لا شيء يا سيدي لقد كانت السمرة حظ

# ليلة القبض عليّا

قصة طريفة حدثت فعلاً وكوميدية حدثت تموت من الضحك. ولكن كلما حاولت أن أرويها لأحد يحدث شيء ما لم أكن أتوقعه فلا أستطيع أن أروى القصة كاملة، وأحمل ما في هذه القصة حكمتها. القصة رائعة وأنا أنا دائما مرواية القصة وما أكاد أقترب من احداثها حتى يحدث ما يمنعني من الوصول إلى نهايتها المضحكة جداً. مثلاً فجأة يقلب أحد المستمعين بطريقة خطأ كوب ماء على الأرض وينكسر الكوب فأتوقف عن حكايتها لأتعاون مع الجميع على جمع شظايا الزجاج المكسور. وهذا يقول خير وهذه تقول حدث خير وراحت. وأضطر لتلخيص الجزء الذي حكيته من حكايتها في جملة مختصرة حتى أسترسل.

الحكاية بدأت مرة بتولي أمر ضبط وإحضار من نفسه. طرقت إلى الصوت لدى جاء ليقبض علينا وبعد هو يقص لى ...

ويدق فجأة جرس الباب فيتركني السامعون ويتجهون بعيونهم تجاه الباب تاركين بقية القصة تموت على شفتي. ويأتي من يأتي ويسلم

على الجميع واحداً واحداً ويجلس بيننا وبعد التحيات والسلامات التقليدية أحاول أن أكمل القصة فعند الصول ينظر لى وأنا أنظر له. يسألنى القادم الجديد : صول إيه؟ أقول له: أحدث لسه وأصل الحكاية إنهم مرة عتولى أمر ضبط وإحضار من القسم

هنا تصرخ روحتى فجأة: ريحة شياط. هنا يتركنى المستمعون يبحثون تحت الموائد والكراسى والسجاجيد عن مصدر النار، وكل ما يتشمم بأنف حيرة إلى أن نكتشف أنها السحابة السوداء، ويدور حديث تقليدى سخيف حول السحابة وتموت قصتى تماما إلى أن يهتف بى أحدهم قائلا قول ياه وعملت إيه مع الصول؟ هنا أبدأ فى سرد قصتى عليهم، ولكن رشا صديقة روحتى تقاطعنى فجأة وهى تقول: اسكت مش مرة هشام جوزى جاله أمر ضبط وإحضار برضه لكن كان جاله استدعاء للجيش ومراحش اترعبنا.. هشام عمره ما دخل قسم بوليس كلما أو كلم ساهر ودفعنا الغرامة لكن كان ميت فى جلده وأن عمله أقوله خ ارووك فى السجن بعش وحلاوة وسجل الجميع فى الضحك، إلا أن طبعا فأنا الوحيد لدى لم أكمل قصتى فصنى قصيعة كوميدية جدا..

ولكن مش مهم بعد أن انتهت رشا من قصتها، قلت لهم أكمل لكم بقى الحكاية الصول بص لى وإذا بأحدهم يسألنى صول

مين .. فرد واحد من الشلة قائلا فى صوت اسى حيث به امر الصصد ولاحصار . من تركر يا أخى!! يقول أه .. وبعدين؟! ويسود الجلسة حالة مفاجئة من الاهتمام بحديثى الشيق وما أكاد افتح فمى .. إذا باستى «هيا» تصرخ فى بكاء متواصل .. وتنقبض روحتى حارية . ورءهد ثلاثة أو أربعة على الأقل من الخلس وتعود روحتى تهب وتبدأ الخصام فى مدعتها .. حتى كمله إيه الصعامة دى .. لأ .. دى مش شكل يوسف خالص .. دى حتة من أمها، ويدور حوار طويل حول لمن تنتمى «هيا» شكلا هل لى أم لأمها .. لا .. شق والمناحير بيها خالص .. مناحيرك طويلة .. وتهدأ «هيا» حيا وتهدأ نحو وسستر وأقول لهم فى إصرار .. أسوء معاك!! فيردون فى صوت واحد ه صحيح .. عملت إيه مع الصول؟! وما كدت أتكلم حتى سمعت صوت فرامل سيارة فصيع .. وصوت ارتطام .. وجرينا جميعا إلى الشرفة كل واحد حيث على عرسته صعب .. كل شاب يقود سيارة ويعمل عرر وحمسات وربطمت تدخل لعمارة .. وعدت إلى مقعدي .. محمد رس .. يهز حاجب سيمة .. بالنسبة لى ضع وقال أحدهم شاب صايع مش متربى .. مش بعيب فى حاجة، فهو لو تعلم .. ه كاش يعمل كده بالعربية ..

وبدأ حديث طويل عن استهتار شباب هذه الأيام وبعريه بس .. ى

أن صمت الجميع، وأخليت خشبة المسرح تماما لي لأكمل قصتي.
لكن مسه صمت مستغرق في حكايتي. يالله ماه قود ما
تشوقاش وقبل أن أبدا قام أحدهم وبدأ يعزم بسجاير على
الجالسين، فتوقفت للحظة، ثم ما كدت أتكلم حتى قامت زوجتي
تقدم لكل منهم صفا به بعض الحلوى، فيعتذر بعضهم ويشكرها
البعض الآخر وتسألها إحداهن من أين أتت بهذه الحلوى
الرائعة ولم أيأس وبدأت أروي القصة من جديد. إنها أطرف
قصة حدثت لي في حياتي... حكاية تفطس من الضحك
تقاطعني زوجتي قائلة لأ القصة الأحلى يا ما يوم ما كنا في تركيا.
فاكر احكيلهم حكاية تركيا ونسخسخ هي من الضحك ولكني
لا أعبأ بمقاطعتها، وأستمر في قصتي الضاحكة جدا التي لها أحلى
نهاية كوميدية خرجت أمر ضبط وإحضار وفتحت الباب فوجدت
أمامي الصوت ونظرت إليه ونظر هو لي أيضا للأسف
الشديد.. الصفحة خلصت.

# ضايع بالوراثة

كانت صدمة مروعة لرجل متزوج، وعنده أربعة أولاد أكبرهم أنهى تعليمه الجامعي، أن يعرف بطريق المصادفة وبعد العمر الطويل أنه لا يستطيع الإنجاب وكاد الرجل يجن عيناه الذين عاشوا معه طوال هذه السنين وحملوا اسمه وكان يدللهم ويداعبهم ويعملون عليه، وهو يضحك في سعادة.. ليسوا أولاده!؟ واعترفت الزوجة بما فعلت ولكنها دافعت عن نفسها بصراحة وقالت .. وما فائدة أن يعرف كان من الممكن أن يعيش حياته كلها لم يجرب طعم الأبوة أنا لم أشأ أن أحرمه من أن يكون أبا.

لاهوه ولا غيره إنتي محرميش حد من حاجة

ورغم اختلافي الشديد مع منطقها الشنيع إلا أنها هكذا فعلا وما حدث الموضوع على أعصابنا، سنجدها تطرح سؤالا في غاية الأهمية.. هل من الأفضل أن نعرف تلك الحقائق المرة المؤلمة ونعيش حياتنا كلها نتعذب أم لا نعرفها نهائيا ونعيش؟! هل يصارح الطبيب

مريضه بأن أيامه صارت في عداد معدودة أم يخفي عنه هذه الحقيقة؟!

ولم يطق العلماء صبراً ... وفجروا قنبلة تعرف بـ (الجينوم البشري)، وهو الجوهر الوراثي للإنسان، الذي يحمله كل حيوان منوي وكل بويضة ... وبدأوا في فك طلاسم الشفرة الوراثية وخريطة الجينات التي تتحكم في نمونا وفي لون أعيننا وشعرنا وجلدنا، بل وفي تصرفاتنا وسلوكياتنا ومشاعرنا أيضاً ويستطيع علماء القرن الجديد أن يفتحوا الكوتشينة ويقرأوا الصفحات، ولكن على أسس علمية قوية لا مجال للشك فيها، فإذا كان السونار هو أعجوبة القرن الماضي، والذي جعلك ترى طفلك وأنت تراه لأول مرة على الشاشة التليفزيونية، كوجه جديد ينضم إلى أسرتك، دون واسطة ولا قريب في التليفزيون، فهذا السونار المعجزة سيصبح في القرن الجديد شيئاً مثل أم قورى البدائية

فلن يكتفي الطبيب بقوله مبروك جاءك ولد، ولكن بعد أن يضع على خريطة الجينوم الوراثية سيطرق في أسى ويقول: هو ولد سليم ... وإذا سألته في حرج ليس به يا دكتور، سيرد قائلاً: ليس صحيح ... أحفظ على صدري يدي في رعب ... صحيح إزاي ليس؟! ده ... إنه أحسن تربية!! يبتسم الدكتور ساخراً ويقول: تربية إيه يا سيدي والله لا تعمل معه شيئاً ... جينات صياغة عنده وراثية ... حتصنع

شغلي وشغلح وح نمرمطكوا. أنا مش بحب حاجه من عندى
الجسوم بتاعه قدامي اهوه. اسأله في مرارة بيدي المصيبة اللي
نازلة ترف على دماغي. وده من إيه يادكتور؟ بيصرخ فى الدكتور
باستنكار ويقول يعنى مش عارف من إيه؟! تحب فتح بتاع الجسوم
بتاعك. بنت ناسى أمي بنت عمته. إحنا ح نصبغ على بعض
ولا إيه، ثم يستنى في حرم. هه. سره ولا صوره؟! دى
استسلام. خليه يادكتور وأمرنا لله.

يرد فتلا. بنت حرس اكتب لى تعهد هيا إنك مسئول عن
تصرفاته لغاية ما يبلغ سن الرشد

وهكذا تحدث خطوة بينى وبين من أول خطة فصل أمه
صوت الوقف، ووقت له ح الواحده، فأنا لا أعد تعامل مع
حيات. والتعامل مع تجيبات دت يرضع من أمه
وقربت منه أدغمه، فرفسني برجله في وشي رفسة كنت ح نصر
عيني وأنا حاولت أن أردها له بشبوب في كتفه أخدته أمه من
أمامي وهي تصرخ بنت ح تضرب المولود؟! بنت تحسب!!
وحينما بدأ يحبو ص برحف كرحف نصحفة حتى وصل
إلى المطبخ ولم يلفت نظره سوى السكين الذى أمسكه بمهارة
وأحد يصر لن نصره مرعبه وأمه تصرخ المولود ح يعور
نفسه حد منه السكينة ووقفت عند الباب الأمه وأتذكر كلام

جيوم ... العاطفية وبصعوبة شديدة قدرت أن أنتزع منه السكينة، ونبهت إلى أن ... معه يتطوع في الجيش، ويبرز في الحرارات فقط ... لا أضمن أن ... إلى حصانة فيحولها إلى مذبحة القلعة.

ويحكى أن رجلا ذهب إلى الطبيب الوراثي لكي يطلعه على خريطته الوراثية فنظر إليها الطبيب وقال له: ... ح يصيبك سكر على سن الأربعين، وبعدها بسنتين ح يصيبك ضغط وفي سن الخمسين ستتعرض لحالة ... ، وهي نوع من العته والبلاهة غير مؤذية ... لكن ... فأنت ضعيف ... فلا تسمع آخر ... ولا ... فهمت؟!

ولم يرد الرجل، ونظر له نظرة غريبة

ويكرر الطبيب.. أنا باكلمك.. فهمت؟!

وظل الرجل كالتمثال يسدد النظرة ذاتها نفسها

وصرخ الطبيب في زهق ... ولكن ... حول الله يارب؟! ده أنا لسه باكلمه.. أعمار!!

أنه يا أعزائي من قسوة المعرفة ... واسمحوا لي أن أعكس المثل الشهير ... كما يتفق مع جينوم القرن الجديد ... إن كنت

لاتدرى فتلك مصيبه.. وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم) من رحمة ربنا بنا أن الموت يأتى فجأة، ولا يرسل تلغرافا قبل المجئ والمرض يأتى فجأة بلا موعد ولا تليفون.. ثم يحافظ على الأيام الأخرى من الحياة هادئة.. سعيدة.. حتى لو كانت وهما.

غدا سيشخصون الأمراض قبل ظهور الأعراض.. وستجد الكثيرين ينتحرون حينما يعرفون، وحوارات كثيرة ستسوط قبل الروح.. حينما تعرف العروسة أن عريسها بخيل وحقود ويموت في المليم، مع إنه داخل عليهم في إيده كيس كنافة وطبق بسبوسة ولكن الجينوم هو الأصدق.

ثم كيف سنحاكم أو نعرف شخصا دفعته جيناته إلى ارتكاب الجرائم، إذا عرفنا عنه ذلك من البداية؟ فهل نحاكمه باعتباره ما سيكون؟! سيشكو لي صديقي في حرب.. مارح امام حديث وقد أقول له مبروك.. يرد في أسى.. إحنا خفنا نهنيا بيه.. هيه وتدته من هنا، ومباحث المخدرات خم جدوه.. فقد قرأوا في خريطته الوراثي إنه ولد صاحب مزاج ودماغه كلها تنجو

# أنا جيت منين؟

يولد طفل في منزلك .. وطوال ثلاثين عامًا يثير في البيت ضجة لا تستطيع أن تتحملها، ثم يرحل فجأة، ويتزوج ويترك سرًا يخيم عليه الصمت بدرجة تجعلك تعتقد أنك ستفقد قواك العقلية .. ونحن نستمد أطفالنا من الله .. ملائكة لا يعرفون أخطاء هذه الإنسانية فيكتسبونها منا .. ثم نعود ونلومهم على أنهم [illegible]

سألت الطفلة أمها في لهجة كلها براءة وسذاجة .. ماما .. ترى من أين أتى أخي الصغير؟ وكان قد انقضى على ولادته أسبوع واحد .. وعبست الأم في وجه ابنتها وهتفت بها في صبر نافد توته .. اسكتي .. دعك من هذا اللغو .. وهنا [illegible] ولم تعانقها كعادتها، ظل السؤال مرسومًا بوضوح على وجهها البريء، فقالت لها الأم عليك [illegible] هيا .. اذهبي ووجهي إليه السؤال .. كان جالسًا يقرأ الجريدة . واخترق السؤال أذنيه .. بابا من أين أتى أخي الصغير؟ .. وصمت أبوها، ثم أحس بشيء من الارتباك، فقرر أن يعمد إلى الحيلة .. فأجاب .. لقد وجدناه يا [illegible] في قلب كرنبة .. فسعدت الطفلة جدًا وقالت .. وأنا يا بابا .. من

أين حنت؟ وصحك لأب مره ثنية وأجاب لقد وجدتك في قلب وردة جميلة ذات صبح قلب وبنت ومن من أين جئتما؟ فردت الأم من لداخل في عصب وبعدين معك ياتوبه فهمس به لاب أنا جيت من قلب تفحه، وممن جئت من قلب تين شوكي، في لمساء كنت توته قد كسرت ثلاث صحون وثلاث قوسطات وأربعه بادنجانات كبيرة بحثا عن بيتهات صغيرة شاركتها لعب

ولشائع أن كل طفل يرتبط بأمه، وأن كل طفلة ترتبط بأبيها فالطفل يرى أمه أجمل امرأة في الوجود، والطفلة ترى أباها أروع رجل في الدنيا كلها، وقد يطلقون عليها أحيانا عقده عقدة أوديب للطفل وعقدة إلكترا للطفلة

وفي لستينات، كان علم النفس والعقد والكلاكيع موضه إذ ظهر إنك مرتبط بأمك جدا، تقول لك إنت عندك عقدة أوديب.. ولكن هذه الموضه النفسية يبدو أنها انتهت هذه الأيام لاستثنائي للأم والأب لم يعد موجودا في حياة الطفل لسبب بسيط لأنهم، على أمهات وآباء كانوا هم عالم الوحيد، وهم المصدر والمرجع النهائي للمعرفة، أما أطفال اليوم فمنهم كف أم وألف أب، فهناك الإنترنت وهذه سنة الدش، ونحن ليس لنا دور سوى أن نشتري لهم هؤلاء الأمهات والآباء الجدد كما أننا أيضا هرانا نفسنا منهم أصدقاء تحتفظا مع بعض ادمهم وعليه حتى ورعنا الأبوب

وحدث بعض المشاكسات فاختفى هذا الانبهار الطفولي بالأم والأب، الذي تربينا عليه. كانت الحياة أشبه بنغمة ناعمة هادئة، ولم أسمع أمي تتفوهها أبدًا «طلقني». ولم أسمع أبي يقولها أبدًا «عورى». لم تعايره في يوم بأن موارده محدودة، وكان يستحق التقدير، ولم يشعرها يومًا أنها أقل جمالا من نجلاء فتحي، وهي تتعامل أجمل من وجهة نظري طبعًا، فأنا عندي عقدة أوديب.

وحينما ذهبت إليه لأسأله ذلك السؤال التاريخي: بابا أنا جيت منين؟ أحضر ورقة وقلمًا، واخذ يشرح لي الحقيقة بحذافيرها بصورة علمية جادة لا حياء فيها ولا تضليل، ثم مزق الورقة، وحينما سألته لماذا مزقها، قال لي: لأن هذه الأشياء يجب أن نعرفها، وفي الوقت نفسه لا يجب أن نجعلها مشاعًا.

واليوم يدعو رجال التربية إلى أن يصارح الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم فيما يخص الشئون الجنسية، والواقع أن هؤلاء الأبناء والبنات يعرفون عن هذه الشئون أكثر مما يعرف الآباء والأمهات، ولذا لا أستبعد أن يسأل أب ابنه في المستقبل: ما تعرفش يا ابني أنا جبتك منين؟

# علامات العبقرية

راقب طفلك جيداً وسجل كل حركة وكل همسة وكل ضحكة وكل نظرة، فقد يطلع هذا الرضيع الذي لا يعرف سوى البكاء عبقرية فذة، وسيحرجك فهو أيضاً يراقبك، خذ بالك فسيختزن كل أفعالك هذه في ذاكرته، وحينما يصبح نجماً أو عالماً أو أديباً ستحاصره الصحافة والإعلام، وسيطلبون منه أدق التفاصيل عن حياته، وحينئذٍ ستنجح في الموضوع إن راقبته جيداً أو احترم نفسك أمامه.

والطفل العادي يستطيع أن يرفع رأسه بين الشهرين الثاني والثالث، ويبدأ في الضحك بين الشهرين الثالث والخامس، ويتحسس اللعب بين يديه بين الخامس والسابع، ويجلس وحده بين السابع والتاسع، ويحاول الوقوف بين العاشر والثاني عشر، ويمكن أن يمشي بعد أول عام، وحينما يكمل العام أيضاً يمكن أن ينطق بعض الكلمات المفردة، مثل أنت بطل، يعني أنت عسل، أو أنت مر يعني أنت حمار، تلك الجمل البريئة التي تعبر عن وجهة نظر الطفل فيمن هم حوله..

ولكن كل هذه الأمور نسبية، فإذا لم يضحك الطفل في موعده لا تقلق.. وإذا تأخر في الكلام لا تتعجل.. فربما منحك الله طفلاً عبقرياً، وأنت لا تدرى، فقد كان الكاتب الإنجليزى المشهور أوليفر جولد سميث بليداً أثناء الطفولة.. حتى أن أستاذه كان يعتقد أنه لم ير في حياته أغبى من هذا الولد.. واللورد بيرون الشاعر الإنجليزى المذهل كان ترتيبه دائماً الأخير في الفصل، وداروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء كان والده يتحسر منه، ويقول له: أنت لا يهمك في العالم سوى إطلاق البندقية وتربية الكلاب وصيد الفئران.. ستصبح عاراً على نفسك وعلى أهلك.. وأينشتين معجزة القرن العشرين أخذ كحكة في الشهادة وفى أي مادة؟! في الحساب، وكانوا في طفولته يطلقون عليه "البليد" وهؤلاء جميعاً أدهشوا العالم كله

وأنا شخصياً عملت فلاش باك سريع على طفولتي.. اكتشفت أنني لم أكن بليداً، ولم آخذ كحكة في الحساب، ولم أكن ميالاً لتربية الكلاب.. وعليه يمكن أن تتصوروا الحالة التي وصلت إليها، ومع ذلك فهي ليست قاعدة، فالأديب الألماني العظيم "جوته" كان يعرف اللغات الفرنسية واللاتينية واليونانية، وهو لم يكمل التاسعة من عمره، هذا غير الألمانية طبعاً.. بل إنه تكلم اللغة الإيطالية وهو يستمع إلى مدرس كان يلقنها لأخته.. ع الصغير كده ولكن لا تيأس أيها العبقري الذي لم تكتشف عبقريتك بعد

والعلماء في جملتهم ليسوا يقولون إن النبوغ لا يظهر في الإنسان إلا بعد
سن السادسة [illegible] والأربعين من العمر، يعني كده وعشت حتى تكذب
على وش وكيل وزارة [illegible] منهم لا يعقد جلسات، فهي تأتي من
حيث لا تعلم [illegible] وفجأة [illegible] وبلا حسابات [illegible] فكل الناس عاشوا وهم
يظنون أنهم عباقرة [illegible] لم يعملوا شيئا، بينما كل العباقرة الحقيقيون
مشغولون بالعمل [illegible] بينما جميعهم عباقرة [illegible] قال [illegible] لأحد
الملوك: أعطني عتلة طويلة ومكانا أضع فيه عتلتي، وأنا أخرج لك
العالم من مركزه

# ضحيت هنايا فداه

أصيبت عائلة بكارثة فى النوة وتحطم البيت، وكان عندهم ولد صغير اسمه منعم أرسلوه إلى عمته بالقاهرة، وبعد أسبوعين جاءهم الخطاب التالى «نعيد لكم منعم، أرسلوا لنا النوة» ولاشك أن ما فعله منعم فى بيت عمته كان أشنع بكثير مما فعلته النوة فى بيت والديه.. إن كل لعب الأطفال والعرائس والمراجيح ما هى إلا أكذوبة، صنعها أصحاب مصانع لعب الأطفال، فالطفل لا يتمتع بحق إلا حينما يلعب بأشياء الكبار.. فما أجمل من أن يضع يده على رف من الرفوف ويلقيه على الأرض.. وما أجمل من أن يلقى زلطة على التليفزيون فيحطمه تحطيما.. وهذا الصراب والتحف التى يشتريها الكبار.. يتساءل فى ضيق.. ما فائدتها.. ويهال عليها حتى يجعلها من الحفريات، وهذا ما فعلته سنى التى لم تبلغ عامها الأول..

كان عندى تمثال لفينوس آلهة الجمال، وكنت أعتز به جدا وكانت فى شهورها الأولى تنظر للتمثال كثيرا وتتأمله بعمق، وفسرت

دلك على أنه ميول فنية مبكرة عند البنت . وما أن بدأت تحاول المشى حتى ذهبت إلى التمثيل. ولما كانت ابنتى لا تطيق وجود أى بنت فى البيت حتى أمها. نظرت إلى فيوس نحل، وأعطتها دفعة محترمة قسمتها نصفين فصارت فيوس على يد ابنتى بلا ذراعين ولا رجلين أيضا. وعلاقة الأطفال بالحيوانات علاقة غامضة ليس لها تفسير، فالأطفال يدعون حبنا أنهم يحبون الحيوانات، وما من طفل إلا بكى وتوسل لوالديه عاوز كلب عاوز بسبس عاوز قرد. وما من أب إلا وتوسل لابنه عاوز أنام عاوز أنام. عاوز أنام.

كان ماشيا فى الحديقة ووراءه أوسط من أولاده السبعة، كلهم فى أعمار متقاربة، ووقف الأب أمام قفص الدب وبدأ يكلمه فى وقار. هذا الدب يا أولاد من النوع الذى يعيش فى الإسكيمو، وهو من فصيلة مفترسة. ولكن فجأة نصرخ الدب ويجرى من القفص إلى الداخل كان اسمه نمر وهو من النوع الذى يعيش فى مصر، ومن فصيلة مفترسة أيضا قد لسع الدب بعصا على رأسه وجرى ليس خوفا من الدب، وإنما من الحارس الذى أقسم أن يضربه وانتهت المشاجرة بأن أخذ الأب أولاده وانتقلوا إلى قفص الأسود وبدأ محاضرته الوقورة التقليدية هذا يا أولاد ملك الغابة

كان الأسد جالسا فى وقار بلده الرائعة وفجأة زن زأرة مرعبة وأخذ يتلوى فى القفص وأصبت بهياج عظيم كان أحد الأبناء

وهو من فصيلة القطط بالتأكيد قد ألقى للأسد قطعة لحم بدلا من قرن فلفل أحمر حار. وأخذ الأب أولاده وبالفعل [illegible] حول من الحارس هذه المرة. ولكن من الأسد الذى رفع حاجبه متطلعا فى حديقة ويبدو أن الأب على وجهه علامة الشفقة. فقالت منى مرة [illegible] شوف الأسد ما بيتحركش خالص ولا لا؟! فأجاب الولد [illegible] هوه مش لو خرج من القفص حياكلنى؟! أجاب الأب [illegible] هياكلك. فقال تامر خلاص، فقال الأب محاولا مسايرة منطق العفوى [illegible] لكن هوه ما حيخرجش لأنه بياكل [illegible] فأجاب تامر يعنى ساعة ما بياكلنى [illegible] مر بينهم أحد الحراس فى حديقة فسأله الأب محاولا تغيير الموضوع [illegible] لو سمحت «قفص القرود» الأولاد عاوزين يتفرجوا عليهم فرد عليه الحارس [illegible] شوية. [illegible] كلهم بيتفرجوا على [illegible] الناس تمشى

تلك هى تصرفات بعض أطفالنا الأبرياء مع حيوانات الحديقة داخل أقفاصها. فما بالك بالحيوان الصغير الذى [illegible] يعيش معهم. فهذا طفل يمسك بذيل كلب صغير ويدليه من البلكونة، والكلب يصرخ بلا جدوى. وهذه قطة عليلة يتقدمها اثنان من أطفالها فى فرح وسرور. وهذا يضع كتكوت مسكين فى الهواء ويقذف عليه [illegible] تتعجب من [illegible] عدد الكتاكيت فى العشة. وهذه [illegible] أنفاسها الأخيرة على يد صغيرة، كما تدعى أنها تلعب معها

أما الطامة الكبرى فهى الخروف، التى تتصرفها تصرفات إلى

الإقامة فى البيت، قبل الذبح فى عيد الضحية .. أقسم أنه لو
تكلمت لقالت أرجوكم اذبحونى الآن .. فلا صغار تعطف فى سعادة
وتنزل فيها ضربا ونطحا .. وتشد قرونها وتقرصها .. وهذا خروف
أعور يا حول الله يارب، وحتى لم يتعد عمره سبع سنوات، وأذنه
الجريحة قسم رصاص .. وهذا خروف أعرج ضربه مجرم فى السادسة
من عمره على قدمه برجل الكرسى وجرى .. وهذا خروف حاول أن
يدافع عن نفسه، وفكر فى أن ينطح .. واستطاع الولد العفريت
بمهارة مصارع ثيران محترف أن يجعله ينطح الحائط، وكاد أن يموت
الخروف مسكين. فى الصباح المبكر جاء الجزار بالسكاكين .. وأمام
الباب .. جرى عليه الخروف سعيد قائلا .. بت كنت فين يا أخى
من زمان .. رقبتى أهيه .. اسمى .. وخلصنى .. بالله وانغمست
الشوربة والفتة .. وجلست لنأكل .. ولكن أين الأطفال؟ كان كل
منهم قد أغلق على نفسه حجرته وانفجر باكيا بكاء مرا على فراق
الخروف .. ولم يرض أى منهم أن يتذوق قطعة واحدة من لحمه
ما أجمل الطفولة .. كل سنة وأنتم طيبون.

# ألفين... وواحد صاحبي

كل سنة وأنتم طيبون.. عشنا وشفنا وقلنا ألفين وواحد.

وهكذا دخل القرن الواحد والعشرون في الخدمة.. وانتهى النزاع حول ما إذا كانت سنة ألفين التي مرت كالبرق هي المتممة للقرن العشرين، أو هي غرة القرن الواحد والعشرين، وهي مشكلة عادة ما تحدث في بدايات القرون ولكنها تتكرر، لأن مثيري المشكلة في بداية القرن الماضي أغلبهم فارقوا الحياة، وتبقى المشكلة هي التي على قيد الحياة.. وأنا أتصور أن عاما واحدا في خضم الحقب والقرون لا يمثل شيئا.. خليه علينا ياسيدي.. عدى عدك.. واحد

واليوم نقولها.. ألفين.. وواحد، ولكن ماذا يخبئ لنا هذا الواحد؟ ماذا يحمل لنا في جعبته؟ إن لفظة واحد.. لفظة تحمل الكثير من الغموض والتوحش والتخفي.. فهل سيكون واحد صاحبي يأخذني بالأحضان ويطبطب علينا أم سيكون واحد تاني؟!

أنا لا أخشى الألفين.. فقد عرفتهم.. قرأت عنهم.. سمعت شاهدت، بل وعشت أيضا بعضهم، ولكنني لا أعرف شيئا عن هذا

بواحد .. ربما يجعله خشبة عليه جميعا .. ونحن على فكرة أول من اهتم بحكاية التقويم وتقسيم الأيام والسنين، حيث كانت الدنيا كلها تعيش في هضبة لا تعرف آخر الشهر من أوله .. تنظر إلى السماء في استغراب وبلاهة، شمس تشرق من هنا وتغرب من هناك أمطار تهطل هنا وتسقط أوراق الشجر هناك، ومحدش فاهم أي حاجة .. إلى أن فعلها المصري القديم العظيم .. جلس مع نفسه وراح يدون ويحسب، ثم أعطاها للعالم أجمع

من هنا نعرف .. من هنا بدأ التاريخ، وصار الإنسان بعدها كائنا تاريخيا .. فأنت تعيش بين تاريخين .. تاريخ ميلادك وتاريخ الوفاة بينهما تاريخ ثالث لا يقل أهمية عنهما: تاريخ جوازك طبعا .. وهذا الخلود التاريخي، هو الذي جعل البعض يسجل على ظهور الكراسي في أتوبيسات النقل العام .. للذكرى الخالدة .. محمود سكا ويكتب التاريخ .. ويأتي بعد ذلك راكب آخر لا يعرف محمود سكا وربما يضايقه محمود بتصرفه اللاحضاري .. فيضيف إلى اسم محمود سيكا صفة «أبيحة» عقابا له .. ويكتب التاريخ

وعليه صارت النتيجة السنوية قطعة أكسسوار أساسية في كل بيت وفي كل مكتب .. وهي أول نقطة تقع عليها عينك كل صباح فتنزع الورقة أو تشطب على اليوم، الذي مر أو تضع دائرة حمراء على الأيام التاريخية حتى لا تنسى .. ولكن لماذا نطلق على «الرزنامة»

بالفارسية أو التقويم السنوى (بالعربية) أو الكالندر بالإنجليزية .. مثلا، نطلق عليها نتيجة (بالعامية)؟ هل هذا ينبع من أننا بداخلنا أن يصل جهدنا وسعينا وتعبنا طول السنة الماضية إلى نتيجة فى العام الجديد؟، هل لأن السنة هى المعيار الوحيد، ووحدة القياس الأساسية التى نعتمد عليها فى بلوغ أى شىء . فالسنة الدراسية تنقلنا إلى مرحلة جديدة. والسنة المالية هى التى نرتب فيها أمورنا وميزانيتنا ودفاترنا .. والجرد سنوى .. والدورى سنوى والكأس سنوى

ولكن هذه النظرة السنوية للحياة أعتقد أنها يجب أن تتغير خصوصا بعد تقنيات الثانية على يد رويل واكتشاف الفيمتوثانية. فالإحساس بالوقت صار مرعبا. ولا أبلغ من التدليل على عدم الإحساس بالوقت من حكاية اثنين مساطيل، كانا يشربان معا سيجارة ملفوفة فى إحدى دور السينما .. هذا يأخذ نفسا ويقول للثانى مساء الخير .. فيأخذ منه السيجارة ويأخذ نفسا .. و .. مساء الخير، وكبس البوليس على أحدهما، وفى يده السيجارة وقبض عليه وأودع السجن، وظل فيه خمسا وعشرين عاما. وخرج من السجن بعدها وأخذ يبحث عن صديقه الذى لم يشعر بما حدث .. ولما أعيته الحيل فى أن يجده .. دخل السينما فوجده .. فى مكانه .. فجلس وراءه وأخرج سيجارة وناولها له قائلا: مساء الخير فأخذها منه صديقه فى استياء.. وقال.. إيه ده.. ساعة!!.

ولذا أن نرى أن ننظر العام الجديد بطريقة جديدة.. نحمل فيها

ستوب وونش.. انهض من فرشتك وأذهب إلى عملك، وتدور الأيام كما نحن؛ واضغط على الأستوب وونش أمام الساعات الحية. واوقفها أمام الساعات الميتة الضائعة.. والساعات الحية ليست هي التي تعمل أو تسحر فيها فقط، وإنما الحياة في أشياء كثيرة. في لحظة حب حقيقية .. في لحظة صدق مع نفسك أو مع الآخرين .. بل حينما تلعب.. أو تتمتع بأي شيء، بل إن المرء يحيا حينما ينام فأنت بعد يوم شاق حينما تنام تصبح أشبه بالمولد الكهربي الدائر في سكون .. وإذا سألتني أنا متى أحيا؟ أقول لك.. حينما أضحك من قلبي.. وحينما أجوع جوعا حقيقيا وحينما أنام نوما هنيئا.. وحينما أقرأ مسرحية أو أشاهد فيلما.. وحينما أرد على خطابات القراء. كل سنة وأنتم طيبون

# الرنين والحنين

تحتفل الدنيا كلها، هذا العام ٢٠٠١ بمرور مائة وخمس وعشرين سنة على اختراع التليفون.. قبل هذا التاريخ لم يكن أى شيء حولك يرن.. وإذا ذهبت سيادتك مشوار صغير لحد سيها، فاعلم أننى فقدت أثرك إلى الأبد إلا إذا شاء القدر أو المصادفة أن نلتقى مرة أخرى.. وقال الشاعر: قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا.. ولذا كان الفراق أيامها بعد تحقق فراق حافلاً بالدموع والآهات والنحيب.. أما اليوم فالفراق بارد مثله مثل [illegible].. وفكرة استخدام الأسلاك فى نقل الأصوات البشرية، بدأت فرنسية على يد "بورسل" ثم ألمانية على يد "رايس"، ولكن كليهما فشل فى محاولته.. وفى نيويورك قبض البوليس على رجل اسمه كوبر سميث لمحاولته ابتزاز نقود البسطاء، وذلك بتقديم آلة ادعى أنها تنقل صوت الإنسان عبر الأسلاك، وقد سمى هذه الآلة تليفون.. شفتوا النصب والاحتيال؟! واعتبر كوبر سميث وقتها دجالاً وعومل معاملة الشيخة نادية..

وبعد سنوات قليلة تنافس اثنان فى نيويورك حتى اخترع التليفون

احدهما اسمه «جراى» والثانى اسمه «جراهام بل»، وكان الحظ مع الثانى، إذ تمكن من تسجيل اختراعه قبل منافسه بثلاث ساعات فقط. وجراهام بل هذا كان معلما للخرس وأحب فتاة خرساء من تلاميذه. وربما أراد أن يأكل ودها فاخترع التليفون، وكانت لحظة تاريخية حقا حينما كان جراهام بل يقوم بتجربته على الجهاز، وكان يشتم مساعده الغبى ويسب سنسفيل جدوده. وخرج المساعد من الحجرة الثانية ليس غاضبا لما سمعه، وإنما يكاد يموت من الفرح وهو يقول له: مستر بل لقد سمعت كل كلمة نطقت بها بوضوح وتعانقا عناقا حارا.

وجرت أول محادثة بين مكانين بعيدين عام ١٨٧٨ بين بوسطن وكمبردج فى أمريكا والمسافة بينهما ٢ كيلو. وكان أول دليل تليفون لمدينة نيويورك عبارة عن صفحة واحدة، بها ٢٧١ اسما فقط. وقد لقى «بل» فى حياته ما يليق به من حفاوة وتكريم، وأقيمت له تماثيل عديدة، ولما مات عام ١٩٢٢ توقفت التليفونات جميعها فى أمريكا لمدة دقيقة حدادا عليه. ولقد كان جراهام بل قد فعلها من أجل فتاته الخرساء التى أحبها. فلم يكن يتصور أن فتياتنا نحن لسن خرساوات، وأن فاتورة التليفون التى ندفعها آخر الشهر غالبا ما تهدد الحياة العائلية. ولم يكن يتصور أيضا أن اختراعه هذا سيرطرط ويملأ الدنيا كلها. فهذا ميكانيكى يصيح من تحت السيارة

شحمه ليساوك الموبايل من صيه مين يوصل لي صاحبي برد
الصى ده بيت ب أسطى، وهذه شعبة حدث لسقف الشقه
ثم فجأة تترك الحيشة وتجرى لترد على الموبايل، وصار عصرنا عصر
حبوب التليفون المناسبات ولأعياد تليفونات في المناسبات
السارة والمناسبات لسيئة لازم تليفون وإذا طلبني لازم أصبك
طبعا، وإذا لم أصلك تومي طيب حتى تليفون برحل، وبرامج
لتليفزيون كلها صارت برامج تليفونية، يطلع لك الرقم على
الشاشة ويقولك اتصل يالله أصرب اسمره بعبط حتى صار
التليفزيون.. تليفونيون..

إنه الزبون لذي يحيط بي في كل ثانية، وفي كل مكان في
لصحراء في الصبرة، فوق قمة جبال بهملاي وبعد كل هذا
تعني لطيفة ما وحشتكش، وأرد عليها طبعا يالطيفة لم توحشيني
ومتى توحشيني. وهي تكلمني في كل ثانية وفي كل لحظة إن
الشمس نفسها تغيب فما بالهم لا يغيبون فقد فعلها جراهام
بل، قضى على الشوق والحنين حينما اخترع الزبون

# أبـــورنـــة

كل اختراع استهلاكى جديد يشطر المجتمع إلى قسمين، فقديمًا حينما كان وابور الجاز هو وسيلة الطهى الوحيدة الشعبية، بعد مرحلة الكانون والطهى بالخشب والفحم، وظهر البوتوجاز أصبح البوتوجاز هو دليل البيت الهاى وصار الناس قسمين ناس عندهم بوتوجاز وناس معندهمش وكانت الأسرة تتحول إلى مظاهرة عدائية ضد الأب المثقل بالأعباء والمصاريف، والكل ينادى بأن يدخل بيتنا البوتوجاز. وكانت أقل مطالبة به هى أمى المستفيدة الوحيدة منه؛ لأنها أدرى بظروف زوجها أما نحن فلا نطيق أن يدخل البوتوجاز بيت الجيران، ونظل نحن شغالين على الوابور، وتظل تقدم لنا المبررات الدرامية الواهية . هو - إحنا يعنى عاوزينه ليه؟ مش عشان نريح ماما، قال يعنى إحنا مريحينها قوى - ويقول أخى الأكبر، وبعدين الوابور خطر ويمكن يهب فى وشها ونرد جميعًا آه يمكن يهب فى وشها، برغم أنها عاشت أكثر من عشرين سنة تطبخ عليه ومهبش . ولكننا فى النهاية نريد البوتوجاز وخلاص ويصمم

سونوجراف شع مصابيح إياه ووقف ينتظره في السكوتة على آخر من الحصر، وصل أبي يسدد في قسطه مدى الحياة

وظهر التليفزيون وكان أعجوبة الأعاجيب. وفي عمارتنا كان هناك تليفزيون واحد عند جارنا عم أمين، وأشيع أيامها أنه بيتاجر في حشيش، وإلا كيف استطاع أن يشترى التليفزيون، والذي زاد الطين بلة أن تليفزيون آخر دخل العمارة في بيت طنط أم موسى، التي لا تزيد عنا في شيء، زوجها موظف مثل أبي، وأولادها لا يزيدون عنا في شيء

وذهبت إليه وأنا مشحون وأمسكته من كتفه، وقلت له:

بابا.. عاوزين تليفزيون!!

ونظر لي أبي نظرة كلها أسفاً، وقال في ضيق: إنتوا مش بتروحوا تتفرجوا عند طنط أم موسى، قلت له آخر مرة حوريه قفل التليفزيون في نص الفيلم. يرضيك يقفل التليفزيون في وش ابنك. وبدأت أتحدث أنا ولعصابة "إخواتي" عن ميزات نقولها له، ميزات وهمية مثل ميزات الفونوغراف. ولأن أبي كان متديناً لا يحب الرقص ولا الخلاعة، فدخلنا له من هذا المدخل. الله يتلى على القرآن في ختام الإرسال. ولا الأذان بصوت الشعشاعي ولا الأخبار. حتى نوفر الجرايد التي نصرف فيها دم قلبنا دي، وكان أبي مغرماً بالسمك، فأخذنا نحكي له عن برنامج مذهل يعرضه

التليفزيون اسمه عالم البحار، إلى أن جرى ربعه وأصبح لي

وحده التليفزيون، وانتقلت بقدرة قادر من حزب اللي معندهمش

تليفزيون لحزب اللي عندهم.. وهذا ينطبق مع حدث مع

الفيديو.. والثلاجة والغسالة.. وغيرها.

وأخيرا جاء الموبايل.. وانقسم المجتمع كله كالعادة ناس عندها موبايل وناس معندهاش.. تجلس على القهوة.. وكل ما تضع موبايله أمامه.. ست موبايلات على الترابيزة.. لا مكان للشاي والقهوة ولا حديث سوى عن أنواع الموبايل وأحدثها.. والصغير واللي بيتهز.. وهكذا أصبحت موضة "الموبايلات المحدود" ولكنه مكلف.. الموتيرات.. ولكن هل يعقل أن تدخل عليك وإيدي فاضية.. يعني معيش موبايل.. المصري يبقى إيه.. ناس ولاد حلال دلوني على الكارت.. فقولي الكارت يتم.. حيث عرف بتتكلم إزاي.. هنا انقسم الناس إلى نوعين ناس تتصل وتتكلم.. وناس تديك رنة.. وصديقنا مصطفى حريص جدا.. نصف محمود منذ أن اشترى الموبايل.. وهو فقط يديك رنة وينتظر أن تتصل به أنت وتدفع أنت وتخرب بيتك أنت.. وقد كنت إنسانا وطلبته بعد رنة.. يتعامل مع مكنة معاه.. والمتلبس التي ما يهموش ويرمي ويبت ويعجن ويحكيلك حكايات، حكاها بتاعة فين كده.. هو دفع حاجة؟ ويقول لي مصطفى حكاية غريبة وهو يعبر الطريق فطلب الإسعاف على الموبايل.. وداهم رنة العربية

أن الإسعاف عرفت. قالوا ده أكيد درش. ماله كفا الله الشر. ومن فرط غيظنا من مصطفى ونحله، أطلقنا عليه «أبو رنة» وقررنا الانتقام منه. دخل الحمام فقمنا بتغيير الكارت الذى فى تليفونه ووضعناه فى تليفون واحد منا.. والعكس. وطلبناه من كارته هو.. وظل يعيد ويزيد. وصديقنا الذى يكلمه مصر على أن يسمع أخر نكتة وأخر خبر وأخر فزورة. ومصطفى ملعلع..

فى النهاية قال له صديقنا طيب اسمع إنت دى. عارف أنا بأكلمك منين. من الموبايل بتاعك.. هنا تجمدت ملامح وجه مصطفى، ونظر إلى الموبايل الذى فى يده. ودخل صديقنا وأعطاه الكارت الخاص به وانفجرنا فى الضحك. ولكن مصطفى أخذ الموضوع جد. وثار وغضب وترك القعدة. وأقسم ألا يكلم أيًا منا بعد ذلك، حتى الرنة لم يعد مصطفى يرنها لنا. وهكذا قسم الموبايل الناس إلى ثلاثة أقسام. قسم يطلبك ويكلمك وقسم يديلك رنة.. ومصطفى.

# إذا لم تضحكوا الآن...

التليفون المرئى حتى حاى.. وموبايلاتنا هذه التى نتباهى بها ستصبح مثل جهاز الفونوغراف، الذى غنت فيه منيرة المهدية "بويت أبيعك خلاص بويت"، وهى الأغنية نفسها التى سأغنيها لجهاز التليفون المحمول الخاص بى حين يطلع التليفون المرئى.. هذا إذا وجدت أحداً يشتريه على سبيل التحفة. وكرجل لا علاقة له إطلاقاً بالإلكترونيات، والبيض بوورد فى كل ما يتعلق باللاسلكى، فمن واجبى أن أقدم للسادة العلماء فكرة عن التركيب المعقد والدقيق لجهاز التليفون المرئى. ولا أحب أن يتناولوا أفكارى العلمية هذه باستهانة أو باستخفاف لمجرد أنى كنت قسم أدبى.. فهذه نظرية قديمة.. وما دام مسموح للعلماء بتذوق الأدب بل وكتابة الشعر أحياناً.. وما دام محلل للدكتور زويل أن يتكلم عن أم كلثوم وهو العالم الفذ.. هل يحرم على كاتب مثلى أن يجتهد فى بحث علمى يمكن أن يؤدى إلى قفزة علمية مهولة..

استسمحكم قليلاً.. أن تدخلوا معى إلى معملى المتواضع بين الأجهزة المفكوكة والأسلاك والمبعثرة.. والكتب والمراجع.. وأن

شعرى منكوش ومستغرق تمامًا فى جهاز تليفون محمول قمت بفكه، وأحاول جاهدًا أن أدخل الكارت فيه ومش عارف.

وهذه المشكلة العويصة لا تذكر بجوار المعضلات التى واجهت أجدادى أمثال أديسون وجاليليو يرحمهما الله. أستأذنكم قليلاً لألقى نظرة على كتب الفيزياء للصف الثانى الإعدادى عن الشرارات، والقدرات هذه بالذات هناك مشكلة بينى وبينها. ليست مشكلة شخصية بالطبع، ففى محراب العلم يجب تجنب كل الأمور الشخصية تمامًا. وإنما مشكلتى معها أنى حينما درستها لأول مرة لم أفهمها. ولكنى بمجرد ما أن درستها مرة أخرى لم أفهمها على الإطلاق، وهذا ما جعل مدرس الفيزياء ينصحنى لوجه الله.. أن أدخل أدبى. ولكنى مع ذلك لم أيأس. فمن لم تثره القدرات قد تثيره غيرها. وعليه قررت أن أطرح عليكم - سادتى العلماء الأفاضل - فكرتى عن التليفون المرئى بشكل نظرى، تاركًا كل جهدى للإنسانية كى تستفيد به. والأساس فى العلم هو الفكر.

وسقراط الحقيقى للحق هو الذى ألهمنى بالفكرة، حيث كان يتحاور مع تلاميذه. وقد أهمل سقراط تلميذًا كان جالسًا فى صمت ينظر له بعتب لأنه لم يشركه فى الحوار. فقال له سقراط جملته الشهيرة: تكلم حتى أراك. قلت لنفسى: هذا هو التليفون المرئى. هو كاميرا وتليفون وسماعات وشاشة. كل هذا فى وقت

واحد ثم إنه يفتح من تلقاء نفسه. أنت لا تفعل شيئا مرائك تطلبك.. فيفتح الجهاز بشفرة معينة، وتتحرك الكاميرا أوتوماتيكي نحوك لتنقل صورتك لها بالصوت والصورة وتحولها إلى شكل مجسم بالليزر يطير عبر الأثير لتراك زوجتك أمامها في لست مثل المسخوط تحرك يديك وعينيك. وستظل في صورة مجسمة مصغرة منك وفي الوقت نفسه ترى أمامك زوجتك على المنضدة واقفة أو جالسة حسب وضعها وهي تقول لك ح تيجي إمتى؟!

وبالتالي أهيب بكم أيها الأزواج.. أن تأخذوا حذركم فالتليفون المرئي سيصبح أشبه بكبسة بوليس الآداب وكل الأكاذيب والاختراعات التي يخترعها نحن الأزواج سيبطل مفعولها تمامًا. لا عجلة فرقعت.. ولا زوجتك أعزي في واحد صاحبي فهي لن تصدق إلا ما تراه بعينيها كان جالسًا في المقهى مع أصدقائه وفجأة وجد زوجته واقفة فوق الشيشة وهي تصرخ فيه قاعد في القهوة وناسيني؟! ونظر حوله في خجل من هذه الفضائح التي في الشارع. وقال لها.. هدى مش قدام الناس كان صديقه هو الآخر واضعًا زوجته على ... ومنهمك في حديث طويل حول طلبات العيال ولما فاض بالزوج الذي تكلمه زوجته وهي فوق الشيشة نادى على الجرسون وقال روح بي لي على الحجر وجلست الزوجة ساخطة لاعنة وأتخذ الزوج قراره بالانفصال

كلم المأذون فظهر المأذون على شاشة العربية، وقال السلام عليكم قال اروح أنا خلاص ح أطلق أنا جاى لك وختفى المأذون. وصلته بعدها زوجته على المرئى برضه

وظهرت زوجته معتذرة مرتدية البالطو ثقيلا وسألته إنتا لوحدك فى العربيه مش كده فأجابها بالقصاب أيوه لوحدى فخلعت البالطو. و تراجع طبعًا عن حكاية الطلاق ولكنه حينما ذهب إلى البيت وجد المأذون خلف ليس المأذون نفسه بالطبع فقصد يعنى كل جهاز تليفون فأنهى المكالمة بسرعة وآخر كان واقفا يكلم صديقه. وفجأة انتفخ جيبه فوضع يده وأخرج من جيبه ابنه عمرو، وصرخ فيه. قلت مستاهو ما تلعبش بالتليفون عمال على بطنى. تتصلى به دلوقتى. وبكى عمرو واختفى يبدو أنه أنهى المكالمة. وقال الصديق. يا أخى ما ترعلش الولد وفجأة ظهرت ابنته هبة على كتفه. وهى تقول وحشتنى يا بابى فابتسم الصديق، وقال عيال بتلعب يا أخى، وستتوقف بهذا المعاكسات التليفونية التى لم يقض عليها إظهار رقم الطالب. فهذه نمرة كشك سجاير وهذه نمرة سوبر ماركت،، إن باه مع التليفون المرئى ح تجيب الطالب من قفاه..

وأمام الثورة الاجتماعية التى سيحدثها التليفون المرئى، ستختفى كل الخرافات خاصة بالأشباح والجن التى تسيطر على العقول

فأنت في أي مكان وفي أي زمان معرض، لأن ترى أي إنسان فجأة ـ يطلع لك من جيبك ـ من شنطتك .. وإذا طلع لك عفريت من قمقم وقال لك : شبيك لبيك عبدك بين إيديك .. لن تصاب بالذعر ولن يغمى عليك. وإنما ستقول له ببساطة : اطلبني في وقت تاني.

أعرف أن هذا ليس طقسًا ولا تخريفًا، فالعلم نفسه لا يستطيع أن يتصور ما يمكن أن يحدث بعد عشر سنوات فقط .. فهو يتحرك بسرعة جهنمية .. ومقالي هذا سيصبح سخرًا بحق سنة ٢٠٠٥ وإذا لم يضحككم الآن، فأنا أعرف أن أحفادي سيموتون من الضحك، حينما يقرأونه ويموتون.. كم كان غبيًّا جدهم هذا..

# الموبايل على ودانك والساندوتش فى إيدك

فى بداية القرن العشرين كانت الحملة الموضة الشائعة فى كل الصحف وعلى كل الألسن.. «عصر السرعة»؛ فقد كان ظهور القطار والسيارات فى الشوارع مثيراً بحق، وبعد أن كانت السرعة القصوى لأى شيء لاتزيد عن حركة الدواب والماشية والحمير - صارت الموتورات تنهب الأرض نهباً. وعليه فالمواعيد بين الناس لم تكن بالدقة التى نتعامل بها الآن. فإذا أردت أن تراني فى بداية هذا القرن وحبيت تاخد منى ميعاد

يكفى أن تقول لى أشوفك الأسبوع اللى جاى. هكذا فقط وأن طبعاً رايق.. أطول الأسبوع بطوله فى انتظار سعادتك فأنت لا تملك نفسك.. إنت جاى على حمار وكل حمار وله ظروفه وبدأت السرعة تزيد زيادة مهولة. طيارات. صواريخ نفاثات أسرع من الصوت، وبدأ البنى آدم نفسه يحاول أن يجارى العصر ويغير من عداد سرعته القديم المزاجى هذا، وجاءت الحرب العالمية وماتت الملايين من البشر وبدأ الإنسان يجرى أكثر. يلهث يريد أن

يحق شيء ما هو نفسه لم يعد يعرفه أشوفك يوم الخميس الساعه خمسة وخمسة خمسة وعشرة أ مش فاصيلك إحنا لسه ح نقعد. إيه الموضوع ناكل إيه يابا كنابه حلل وأطبق وطواجن وقعدة وعموس إديها سندوتش ع لسريع وما هو السندوتش؟ لقمة كبيرة وعموس كثير وتأكلها ع سلم في الشارع في لعربية، والموبايل على ودانك و سندوتش في إيدك أخرى مفيش وقت ساعه تتكلمي في التليفون، باللاب، أخلص، ده لسه ح يسل ويحب كتّر دماغك وقص أنزل من على وداني

وركبت الأغنية روح العصر، وخيم على عبد الوهاب حصه علم العزل بإيقاع سريع وقتها طلعت، ثار أصحاب المدرسة القديمة على هذه الأغنية الشبابية، لي يسي عنده حد بيجرى وراك على مهلك شويه وجاء عبد الحليم واسمعى ياقلبي اسقني لا لا.. م توصلش لكده. يعم ركز شوية اهدأ. وفي نهاية القرن أتى رواد الأغنية الشبابيه حميد وعمرو وفؤاد الأغنية صفقة فو. يادوب ح سمعها تلاقيها خلصت سرعة محبوبة مرعبة، و لنقاد يهاجمون برصه بهم دائما على ه دو سرعتهم أقل من المطربين بجيل على لأقل.. لا أعلم لماذا..

وفي سنة ٢ ٢ ستطلع أغنى أخرى أسرع ملتأكد ستأه سمعت لأغنية الاخرية؟ برد هاناه سن ملحقتش اسمعها

عدت هوا . وستزداد سرعة الأفلام أيضًا سيجرى الفيلم أمامك بإيقاع لاهث سريع متلاحق إذ فاتك مشهد خلاص اللى يموته مشهد محدش حيحكى له يهمس لزميله فى السينما. إيه ده . هو اغتصبها يرد . ما حدش بالى يسأله يعنى هيه زعلت ما اغتصبها ولا كانت عاوزاه يغتصبها ولا ما عرفش معاها يرد . ياعم دماغك . . مفيش مشاكل . . فشطة .

ماذا يحدث فى الدنيا وكأنها ركبها عفريت . من الذى ضغط على زرار التقديم السريع ، حتى كدنا نكفئ على وجوهنا . سباق رهيب محموم الكل يجرى ويريد أن يسبق . هذا يلهث وراء سبق صحفى وآخر يموت حتى يصل أول واحد ، ويحقق سبقًا فى أى حاجة المانشيت أهم من الموضوع والعنوان أهم من التفاصيل لا وقت للقراءة . إنها أيام التصفح . . ومخاطبة القارئ تختلف عن مخاطبة المتصفح أمسك الجريدة . . وفر لا تقر هاربًا أعلى هو الأوراق العناوين وخلاص ستطير تتوقف لحظة عند الأخبار المجهلة . عماير الفساد العلانية فى شقة الفنان الهلالى بعد منتصف الليل . تفتكرو تطلع مين؟!

وتتوالى التخمينات لأ ياعم مش اللى فى دماغك ، ده ساكن فى الهرم ودكها فى فيصل هنا أردت أن أشرك أنا أيضًا من نفسى وألقيت بحجر مجهول آخر . كتب سحر من أعظم الكتب

للساخرين واشترك مع العقاد في الهجوم على شوقي بيه   من هو؟!
ونظروا لي جميعًا وجمين، وكأنني أتحدث اليابانية أمامهم بطلاقة.
قلت لهم أقربها لكوا شوية   اسمه إبراهيم تحولت نظراتهم تحوى
إلى نظرة عدائية. قلت مسرعًا إبراهيم عبد القادر المازني. قال
أحدهم ساخرًا المازني   وده إيه ياه بطعمه   قلت لهم   ده
طعمه ياه غير نضاف بحا خالص. وانقضت الليلة بسرعة وماذا
في أيامنا هذه لا يتم بسرعة   الزواج بسرعة   والطلاق بسرعة.
والحب بسرعة والكراهية أسرع، النجاح سريع، والفشل أسرع
ولكن عفوًا   أريد أن ألتقط أنفاسي.   أن أتأمل أي حاجة   أن
أتعمق في أي شيء.   أن أتشبث بكتاب شائق   أن أقرأ مقالاً طويلاً
عميقًا رائعًا، به وصف وتحليل ومتعة وهدوء وبصيرة   لا يثري
العنوان بقدر ما يدهشني المضمون   تصوروا في عدد من مجلة كل
شيء سنة ١٩٢٥، كانت صورة الغلاف للدكتور طه حسين بنظارته
السوداء وذقنه الطويلة المدببة وشعره المفروق من الجانب الأيمن
أظهرته كفتاة من الجيل الحديث. قلت لها عارفة مين ده قالت لي
د. أحمد زكي!!

كان طه حسين هو نجم الغلاف الأول، فكم يسع العدد الذي
يضعه على الغلاف في أيامنا هذه؟! ومشكلة الثانية أن الدكتور طه
حسين والعقاد وغيرهما شخصيات مستقرة راسخة، لا نستطيع أن

تمرُّها فهل تستطيع أن تنظر إلى الأهرامات نظرة عابرة لا تتوقف أمامها ولا تتأمل؟! وبالسرعة نفسها انقضى عصر السرعة مر كأنه لمحة خاطفة أيامه كما يقولون ليس بها بركة أعتقد أن المؤرخين لهذا العصر في مأزق ماذا سيكتبون؟! هل كان الجبرتي والمقريزي وغيرهما سيلاحقون هذا العصر المجنون الطائش؟! أشك

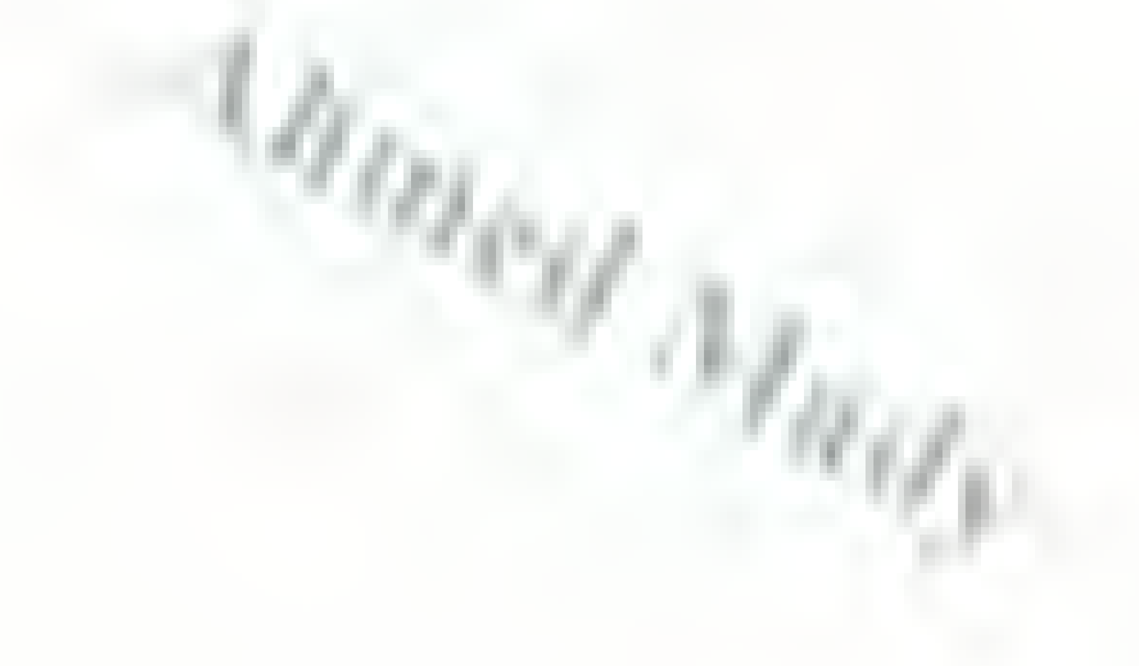

# الأنفيـة الثالثـة

يروى أن نابليون قال ذات مرة: "حينما أرغب في أداء عمل مهم، فإنني أكلف به عادة رجلاً ذا أنف طويلة".. ونعتقد إذا صحت هذه الرواية أن نابليون كان متأثرا بما كان يؤمن به القدماء، من أن الأنف هي الطريق المؤدي إلى نبع الحياة، وأن أصحاب الأنوف الطويلة أكثر جلدًا واحتمالاً في مواجهة الأخطار.. ولكني أؤكد لكم أن مقولة نابليون هذه صحيحة مائة بالمائة، وحروح بعيد ليه.. مناخيري أهيه أمامكم تلك التي كان مدرس اللغة العربية يعايرني بها في الفصل، وهو يشير نحوي: قول انت يابو مناخير طويلة.. فكان الفصل يضج بالضحك، ولم يكن أحد من الزملاء عنده أدنى فكرة عن مقولة نابليون الرائعة هذه.

وحينما هممت بأن أشكو لأبي يرحمه الله سخرية الآخرين من أنفي.. لم أستطع.. لأن مناخيره كانت طويلة قوي، فلم أشأ أن أعقده هو الآخر، ولذا كنت دائمًا أحرص في حصتي أن أضع يدي على أنفي.. وزجرتني أمي قائلة: شيل إيدك من على مناخيرك

طول ما أنت بتشدها كده ح تطول. فرفعت يدى عن أنفى، ولكنى كنت أسترق النظر إليه أحيانا. فتحول عشقى إلى [illegible] وأنا أرى كوز ذرة صابح من وشى، وظللت طول حياتى أعتقد أن الأنف عورة.

وعرفت بعد ذلك أن سيرانو دى برجراك كان شاعرا وكان عاشقا، ولكنه كان طويل الأنف بصورة مضحكة. ومنعه أنفه من أن يبث عواطفه إلى محبوبته، فاختفى وراء شجرة، وجعل شابا وسيما أنفه من النوع العادى يقف أمام الشجرة فى مواجهة الحبيبة، هو يقول الشعر ويتكلم من أعماق قلبه، والآخر يحرك شفتيه.. دوبلاج.

والأنف هى صرة الوجه، وأول شىء نلتقى به فى أى وجه، فإذا استرحت إليه وجهت عينى إلى العينين والفم، وإذا لم تسترح لها ابتعدت فورا. ومشكلة الأنف أنها ثابتة جامدة كصخرة لا تتحرك. أما العينان فيمكن أن تتحركا وتتنوعا فى التعبير، والفم قد يبتسم أو يعبس، ويمكن تشكيله هو أيضا وعليه. فالأنف قدر لا مفر منه. وكان أحد أقربائى طويل الأنف بصورة عجيبة. أى بالنسبة له بشعة، فيبدو أن عائلة المعايطة عندهم جين وراثى معين فى حجم الأنوف. وأصر قريبى أن يعمل عملية فى لندن لتصغير أنفه، وكان قريبى هذا عبارة عن أنف كبيرة فى نهايته وجه، وعمل العملية. ولاتزال أنفه التى قطعها هناك فى متحف

العرائس الجيولوجية، وعاد فرنسى بأنف صغيرة وبدم ثقيل جدا وغلاسة ليس لها نظير؛ فلم نستطع أن أتعامل مع وجهه الجديد.

والأنف هى مصدر الحياة، فلولا عملية استنشاق الهواء ـ عن طريق الأنف ـ لما عاش مخلوق على ظهر الأرض، ولذا تضع بعض الشعوب البدائية فى أنوفها عظمة صغيرة أو تمائم لتمنع الأرواح الشريرة من الوصول إليها، والأنف هى العضو الوحيد الذى يرفض أى تعديلات تجميلية بينما تزين بالألوان والمساحيق وكذلك الفم والخدين والشفتين. وتظل الأنف هكذا منتصبة فى شموخ، رافضة أى قلم روج أو أى بودرة، وفى حين أن الرجال ذوو أنوف طويلة، يؤكدون مقولة ...

أمير سيدهم المنتج المسرحى وشقيق الفنان الكبير جورج سيدهم. كان ذا أنف طويلة جدا، وهو الذى عمر بى فى أول عمل مسرحى لى، وهو الذى قدمنى للحياة الفنية. ترى لو كان أمير سيدهم صغير الأنف، كان سيجرؤ على أن يعملها؟ أشك... إن الأنف الطويلة علامة على الجرأة والاقتحام، بل إن كليوباترا الملكة المصرية التى فتنت الدنيا كلها كانت طويلة الأنف، والفتنة الطويلة هذه جذبت إليها القيصر وأنطونيو من بعده.

قالت زوجتى للطبيب وهو ينظر فى المنظار، ويقدم لنا مقاييس المولود القادم: المهم ماجيبوش يادكتور ياريت ما يطلعش لأبوه ... نظر الطبيب إلى أنفى، وقال ضاحكا: لا مش لدرجة دى صعبة

وجاءت ابنتي إلى الدبة مندهشة تتطلع إليه لا يلفت نظرها أي شيء من حولها إلا صديقي، تظل تحملق فيها ثم تشده.. ثم تحتضنه ثم تحاول أن تدسها في وجهي.. ثم تقترب منه في شراسة تعضه وتعضه.. وإذا حاولت الدفاع عن نفسي أو الابتعاد عنها.. تبكي وتصرخ.. يبدو أنها صارت لعبتها المفضلة، فكيف أحرمها منها.. وها قد أصبحت لأنفي فائدة كبيرة.. وحتى لو لم تتعلق بها ابنتي فهو في النهاية أنفي وأنا قانع به.. راضي بطوله.. طالما أنه لم يندس فيما لا يعنيه.. مادام أنه لم يحشر نفسه في خزعبلات.. ولابد أن رئيس التحرير مؤمن بنظرية بالمثل في الاعتماد على ذوي الأنوف الطويلة، وإلا ما كلفني بكتابة هذا الباب.

## تعليق للكواكب

كان حاكم البصرة في عصر «ابن المقفع» كبير الأنف جدا، وكان «ابن المقفع» إذا دخل على الحاكم يقول له: السلام عليكما.. أي على الحاكم وأنفه الطويلة.. وقد انتهت هذه الفكاهة بمأساة.. إذ إن الحاكم قتل «ابن المقفع» شر قتلة.. فليحذر صديقنا الفنان يوسف معطي من السخرية بالأنف للمرة الثالثة مرة أخرى.. فقد يكون في ذلك شر.. في «أنف» من غير أنفه الخاص.. وأنف أهله الأقربين!

# كان.. فعل ماضى ما تسيبه فى حاله

لاشك فى أن المجتمعات البشرية فى نموها وإدراكها مثل طفل جاء إلى الحياة ليمر بمراحل عديدة، تتطور فيها وتزيد تجربته. صحيح أن بنى آدم ـ فرد ـ يولد وينمو ويتعلم ويتزوج وينجب ويموت. لكن المجتمع لا يشيخ ولا يموت، ولا يتعلم مثل بنى آدم، ولا يصلح من أخطائه. وكل الشرور الإنسانية منذ بدء الخليقة كما هى.. فالإنسان الذى استطاع أن يطير فى الفضاء، ويكلم الهواء ويخترع الأعاجيب، ويغنى ويرقص ويشعر ويكتب ويبدع لا يزال برغمه يقتل ويكذب ويحقد وحالته ما يعلم بها إلا الله.

ولايزال ذلك المخلوق العبيط ينظر بحسرة إلى الماضى ويترحم على أيامه الحبيبة.. وينظر بأسى إلى الحاضر الملئ بالمشكلات والقرف.. وينظر بجهل إلى المستقبل فيتخيل أنه سوف يأتى بكل الحلول الخرافية.. ويظل الإنسان أسيراً تحت سيطرة نظرته القاصرة التى تفصل بين الماضى والحاضر والمستقبل.

وهذا التقسيم الاستعمارى للزمن ما هو إلا تقسيم نابع من عدم

الرضا الدائم فى النفس الإنسانية، فهذا يترحم على أيام زمان، ويقولك والنعمة الشريفة يا جو... حت علينا أيام كنا نعطى الفلوس فى أشوله... مش عارفين نوديها فين... وهى الأيام دى ترجع تانى !؟ وثالث فى عشرين، وهل تريد أن تظل طول حياتك تعد فلوس... وآخر يقول لى والله ما كان معانا مليم فى جيوبنا، بس كنا مبسوطين... أهوه... حتى الفلوس ولو واحد مش مرتاح يا أخى.

هؤلاء هم عبدة الماضى بحلوه ومره. إنهم يرفضون الواقع بلا سبب بلا تهمة حقيقية... وأعرف أنماطا أخرى، أستطيع أن أسميهم عبدة المستقبل إنهم دائما فى انتظار شىء ما... ولعله ما يكون هذا الشىء عنبا عسلا... ولكنهم يعلقون عليه كل الآمال، واحد يقول لى التصريح بتاع المحل يطلع... وراح أنا أناه... ويظل هكذا فى انتظار التصريح... وآخر مستنى عقد عمل، على أساس أن هذا العقد سيحل كل مشكلاته فى الدنيا، وإذا جاء العقد وسافر وعمل فلوس، ينتظر أن ينسى ويقول عملت إيه بالفلوس، ما دانى كنت مرتاح زمان، وأنا فى مصر، مفعول أبو العربة

وهكذا يظل العشاق المتيمون فى الحياة أسرى للماضى الجميل أو للمستقبل المجهول، ولا أحد يحن على الواقع المسكين بنظرة أو ابتسامة.

فى فيلم يوم سعيد يغنى عبد الوهاب لمجموعة من الفتيات

العصريين من جيل ١٩٣٩ ست روشة وديع صحيح شعرهم كان مكوش بطريقة فظيعة، حيث لم يكن الكوافير قد عرف بعد وصحيح بطرتهم كانت غريبة . حيث لم تكن الصحت الحريمي قد اخترعت بعد ومع ذلك فيتهم عبد الوهاب جيله ١٩٣٩ بأنه جيل السرعة الذى سف الحب وقضى عليه وأتساءل هو فيه كان حد سحب قبل سنة ١٩٣٩؟!!..

إنه الرفض الدائم للواقع والتحسر الأبدى على الماضى كأنه كان الجنة ونحن لاندرى.. ولذا تنتشر فى الصحف والمجلات كلمة أصبحت أكليشيه. كلمة الجميل . فيكون زمن الفن الجميل والماضى الجميل والأيام الجميلة وكأن الجمال انعدم خلاص من الدنيا، أليس عادل إمام جميلا ومحمد هنيدى أليس جميلا ويسرا اليست هى الأخرى جميلة لا ثانية واحدة هذا الكلام سابق لأوانه. سيكتبونه بالتأكيد بعد خمسين عاما. فلا داعى للعجلة

قال رمسيس الثانى لزوجته نفرتارى إيه يانفرتارى يا حتتى فين أيام إخناتون، كانت أيام كلها خير الأيام دى خلاص مافيهاش بركة.

صدقونى إنها خدعة كبرى، كل ماضى عشناه، وكل مستقبلها نعيشه ماهو إلا واقع لاندرك قيمته يتذكر أبى وهو مسحسح من الضحك يوم وقع على رأسه من على درابزين السلم، فأخذ السلم

كله كرر لأن أحدهم وضع له دون أن يدرى مخدرا فى كوب الشاى، ويموت من الضحك، وهو يذكر حينما توقف جسده من التدحرج قبل آخر دور .. فكمل الدور الباقى بمراجيه .. ونحن نظل نضحك معه ونموت من الضحك على ذكرياتنا فى الماضى (الجميل)، ولكن وقتها حينما كان هذا الماضى واقعا، هل كان جميلاً، لاشك فى أن ضلوعه تكسرت وصرخ من الألم .. إنه الآن فقط يحكى .. بين الواقع بعيد بجراح الماضى بطريقة جديدة .. ليس فيها شكوى ولا ألم .. إنها مجرد حكاية جديدة .. ولو دخلت شوكة فى حلقى فى الواقع، للعنت الدنيا بما فيها من وجع الوجع

يشكو لى صديقى العازب العصفوق من عزوبيته وضياعه وعدم الاستقرار .. بفتاة تشاركه الحياة .. يعنى .. الله ياسلاااام هيه فين بس؟! .. ويلعن لى صديقى المتزوج اليوم الذى تزوج فيه ويترحم على أيام عزوبيته وانطلاقه .. وقد كان يشاركه الحياة عشرين واحدة ولا واحدة منهن تنكد عليه عيشته ياسلاااام هما فين بس؟!.

ويقول لى أحدهم .. هو لما معملش فلوس أيام السادات ح يعمل فلوس؟! إنسى .. ويرد الآخر .. أيام عبد الناصر هيه الأيام اللى مصر عاشت فيها، فيه الرموز فين أم كلثوم وعبد الحليم والثقافة والمسرح .. إنسى.

ويرد الحاج معروري [illegible] عبد الناصر إيه، وتسددت به [illegible] لي [illegible]

عاشّ أيام الملك ماعاشي بد بنا وهوه [illegible] الخير كله بالورقة [illegible] انتو

شفتوا خير ولا عشتوا أيام.

والنتيجة؟!. [illegible] لا أحد في بلدك عاش [illegible] كما [illegible] نعش [illegible] وسى

نعيش بياس صدفوي، إنها فرصة [illegible] عش [illegible] قبلها كما هي،

قبل أن تتحول إلى حكايات كده تحكيها لولاد بنتك اللي سيرث

عطك، ويحكي لابنه هو الآخر.

يقول لي الناقد المسرحي في حديثه [illegible] عن علاء عبد [illegible] ده مسرح

اللي أنت تقدمه.. ده هلس [illegible] وحرجت له محبة من الأربعينيات

مهدلين فيها نجيب الريحاني وبديع خيري ويوسف وهبي وعلى

الكسار [illegible] هل يجب أن أموت حتى تراني؟! هل يجب أن أصبح

ماضيا حتى أصبح كائنا؟!

# الإنسان أصله قرد والعجلة أصلها حمار

منذ بداية الكون وهناك صراع فكرى مهول بين الإنسان والحيوان.. والإنسان باعتباره يرى نفسه سيد هذه الأرض، والديكتاتور الأعظم، قام بلم كل هذه الحيوانات المذعورة ووضعها فى السجون والمعتقلات، وأطلق عليها حدائق.. وبعد أن سجنها أخذ يدرسها ويتأملها ويتفحص فيها، وهو ينظر إليها بحقد دفين، كما رأى إمكانياتها الفذة الخارقة التى حباها بها الله.

الفهود والنمور تجرى بسرعة مهولة مرعبة ونعرانة إكسبريس والحصان رهوان ويقول لنفسه.. وأنا؟! هكذا.. عامل زى حيتيه إذا جريت لى شوية.. أشخر، ولم ينم الإنسان حتى تفوق على الحيوان فى هذا السباق المحموم واخترع القطار والسيارة والموتوسيكل..

ولكنها اختراعات لا تخرج عن كونها محاولات لتقليد الحيوان بها جسم وعجلات وتمشى على أربع.. حتى إن الفلاحين كانوا يسمونها قديمًا فى الأرياف.. الحمار الحديد. ولكن لم يستطع الإنسان أن يتحكم فى حيواناته التى صنعها هذه.. فحدثت الاضطرابات فى معظمها

وحطمت السيارات على رؤوس من فيها .. ولم نسمع أن أصدقين رغم بعضهم في معركة .. لأن أحدهم كان شارب .. مسطول..

ونظر الإنسان إلى السماء ورأى النسور والصقور تحلق بأجنحتها ضد الجاذبية الأرضية التي تشديه وتهدده على الأرض، إذا فقط رجحه ساعات، وهو يركب لمة الأوطه، وأصيب الإنسان بالخوف، فهذه المخلوقات تطير وأنا! وفعلها عباس بن فرناس ركب جناحين وطار ووقع على جدور رقبته .. ولم يستسلم بنو آدم، واخترع الطيارة والصاروخ..

نسخة طبق الأصل من هذه الطيور التي عشقها في عشقه ولكن.. ولكن وقع أيضا على جدور رقبته بصاروخ يووق على الطريقة «الأمريكية»، في سابقة لم تفعلها النسور ولا الجوارح ولا حتى الخفافيش والحدايات.

ونظر بني آدم إلى البحر وعلى شاطئ البحر شوكيير .. ولكن حسب والأسماك الضخمة تسبح بمهارة .. وهو غلبان .. إذا غطس شوية .. يغرق في شبر ميه .. واخترع السفن والمراكب والغواصات التي تنافس الحيتان والقروش . ولكنها أيضا راحت في نكروره على الطريقة الروسية، وحينما أطلق داروين قنبلته في النشوء والارتقاء.. وأكد أن الإنسان أصله قرد، بدأت كل روحة تعد لنط

فى تصرفات زوجها.. وبدأ العلم يتجه نحو دراسة سلوكيات القرد..

ويقال إن عالمًا ومساعده ظلا يغلقان الباب على نفسيهما فى حجرة واحدة، مع أحد القرود لمراقبته فى بعض التجارب، وذات يوم بعد أن خرجا من الباب، قال العالم لمساعده ترى ماذا يفعل القرد حين لا نراقبه.. ونظر من ثقب المفتاح، فوجد عينًا أخرى تطل عليه من الداخل.. كان القرد يراقب سلوكياتهما هو الآخر.

والحقيقة أن هذا العداء الغامض بين الإنسان والحيوان.. عداء قديم.. وكان جدى الأول يقف واقفًا خلف شجرة إلى أن يمر حيوان.. ويسمعه جدى بعصاه على رأسه وحدة تجيب أجله ويصرخ فرحًا.. وكان الحيوان يندهش لهذا المخلوق العجيب.. فإذا كان الحيوان يعتدى لكى يأكل.. فما باله هذا الإنسان يعتدى ليصرخ فرحًا.

وقف رجل يقول لصديقه.. قررت أنا وزوجتى أن نخرج إلى النزهة فى الغابات، وفى عشر دقائق لبست زوجتى ملابسها وذهبنا إلى الغابة ورأينا أسدًا.. وكان معى عصا.. فهجمت على الأسد وضربته ضربة جعلته يسقط صريعًا.. ولكن لماذا تضحك يا صديقى.. لا تصدق ما أقول.. فقال الصديق.. أبدًا.. أنا فقط لا أصدق أن زوجتك لبست ثيابها فى عشر دقائق!!

# الفيمتو باميـة

قال أحد الفلاسفة الإنجليز «إن العمل الذهني هو أشق الأعمال على الإنسان، وليس غريبًا أن يكون كذلك، فإن الذهن حديث العهد بالظهور؛ لأننا إذا استضأنا بضوء التطور، لا نستطيع أن نقدر ذهن الإنسان من حيث العمر بأكثر من مليون سنة، في حين أن بعض أعضائه الأخرى قد ظهرت منذ أكثر من مائتي مليون سنة»

ومع ذلك فالمليون سنة، التي هي عمر عقل الإنسان ضاعت كمية هباء، إذا قورنت بالمائة السنة الأخيرة فقط، التي ركز فيها الإنسان بعض الشيء.. وأنا أحمد ربنا وأبوس أيدي وش وضهر أني كان من حسن حظي أن أتيت إلى هذه الدنيا في هذه الحقبة، التي هي فجر الإنسان بلاشك.. فكائن ضعيف مثلي لو عاش في المليون اللي قبل دي بس كان زمانه اتلهف حيث كان صراع الإنسان مع الطبيعة والحيوانات الخرافية والزلازل والبراكين، صراعًا أنأى بنفسي عن الدخول فيه..

ولأني أعيش من الكوميديا وهي اللي فاتحة بيتي.. أعتقد أني كنت سأصبح في حال يرثى لها بين القبيلة، التي لا تفكر إلا في

الصيد والحماقات وخطف النساء .. ولا أتصور أنى كنت سأصبر أكثر من (دقيقة)، حتى يلقى بى أحدهم فى هراوة ثقيلة أمام ديناصور معتدى.. فيحصى خبطة برجله ثم يتفقأ بفمه.. والقبيلة طبعًا واقعة من الضحك على المنظر . ولا يسعنى وقتها إلا أن أموت راضيًا، ويكفينى أنى أسعدت قبيلة من الأوغاد

ولأن برجسون يصر ـ ولا أعلم سبب إصراره ـ على أن الإنسان حيوان ضاحك، فليسمح لى أن أضيف إلى مقولته الشهيرة ـ وهو سيسمح طبعًا لأنه مات ـ أن الإنسان حيوان يفكر أولاً.. ثم يضحك.. ولولا هذا التطور الذهنى الإنسانى المعجزة لصار البنى آدم من أثقل الكائنات ظلاً، فهو بالفطرة يفتقد خفة دم السناتيس والقرود.. وحماقة وبرق الحمير .. وهما بالمناسبة أتعس الكوميديانات حظًا، حيث لا يبوب أى منهما أى نسبة مما يدرانه من إيرادات، تملأ بها جيبه البنى آدم التقيل ده

وبرغم الفطرة الفكرية الإنسانية هذه .. ومحاولة الإنسان أن يضع الكوميديا فى صورة تكنه محترمة أو غير محترمة يتداولها الناس كمظهر من مظاهر الحضارة .. إلا أنه .. البنى آدم ده .. لا يزال بداخله نزوع نحو النكد والغم الأصيل من أيام الفنون سنة إياها

فهو حيث ينفجر فى الضحك تدمع عيناه .. ويقولك .. بس بس كفاية .. حرام .. أرجوك .. فيى .. مش قادر .. ياساتر .. وكأنك أنهيت بصفيحة ماء مغلى على وشه .. ثم به قبل أن يحولك

النكتة يقول.. سمعت آخر نكتة ولا أفهم لماذا نلصق بالنكتة تعبير «آخر» هذه... حتى التشاؤم في النكتة يائس، وكأن القيامة ح تقوم بعدها علطول..

واخترع الإنسان نكتًا تحتاج إلى تفكير يسبقها قائلها عادة بمقدمة أنا ح أقولكم نكتة بس عاوزة دماغ اللى يفهمها ح يضحك ويقولها. ونسخر جميعًا في الضحك طبعًا وبالتأكيد لم يفهمها أى منا.. ولكن أحيانًا ما يتساءل أحدنا في براءة ما فهمتهاش يعني إيه.. هنا نأخذ نموت من الضحك على هذا الغبي الذي لم يفهمها، وكل منا يخفي بداخله سره الرهيب.. إنه هو أيضًا حمار، وأنه لم يفهمها

إن انبهار الإنسان بما حققه في القرن الماضي جعله يرفض تمامًا فكرة أنه مش فاهم، وأطفالنا منهم لله وصلوا لحد امتحانات دائمة في بيوتنا؛ مما قلل قيمتنا أمام أنفسنا يعني إيه الفيمتوثانية؟! هنا أتظاهر بأني منهمك في قراءة جريدة، وأرد باقتضاب اسأل ماما.. وحينما يجري ليسأل ماما يجدها في المطبخ مشغولة تمامًا في الفيمتوثانية، وهكذا ورث أطفالنا وأبناء الأجيال القادمة بلا عناء خلاصة جهدنا الفكري، وأخذوه على الجاهز فكل الأجهزة الإليكترونية في بيتنا يشغلها أطفال ويصلحها أطفال، ونسوطها نحن الكبار إذا حاولنا مجاراتهم من نفسنا وبذا سنفقد

الآية .. لن يسألنا أطفالنا بعد ذلك، وإنما نحن الذين سنسألهم
سيدخل الأب على ابنه وهو منهمك أمام الكومبيوتر، يراسل طفلاً
يابانيًّا صديقا عبر الإنترنت، ويتحاوران في مسألة علمية شديدة
التعقيد. يقف الأب أمام ابنه في خشوع وهيبة .. يستأذن تامر
صديقه الياباني قائلاً: معلش .. بابا صحي من النوم وفاق لي
لازم أقعد معاه حبة من نيمه .. عاوز إيه يا بابا .. عرفت تفتح
فايل في الكومبيوتر ولا لسه.. ينظر إلى الأرض في خجل .. ولا
يرد. هنا يغضب تامر، ويقف على الكرسي ويقرصني من أذني
ويقول: عارف لو طلبت مني أشرح لك حاجة بعد كده وديني ما
حسأل فيك، خليك كده يا بابا .. كل الأبهات دلوقت ما شاء الله بيعملوا
برامج بنفسهم، وإنت قاعد كده مش عاوز تتقدم

وفجأة أثناء حديثه تتغير الشاشة على الكومبيوتر، وتظهر بنت
رائعة الجمال.. وهي تقول بصوت ساحر: هاي تامر .. أنا
البرنسيس، هنا ينظر لي الابن تامر نظرة تعني أن أغلق الباب ورائي
وطيران على المطبخ حيث أمه هناك تنتظرني لكي أقمع الدمية

# كيف تتعامل مع السادة الـ..

هناك هالة رهيبة ضخمة هائلة تحيط بهم .. هناك حواجز كثيفة بينك وبينهم.. أسوار وبوابات وحراس وأفكار أيضاً .. بهم يسمعون دائماً.. ولكن.. من بعيد .. كجوهرة المهرجان .. تسطع فتخرج منها أشعة ليزرية براقة.. تحمل في طياتها .. السلطة .. والشهرة والقوة والنفوذ والمال .. وأنت حينما تأتي الفرصة وتكلمهم .. تكلمهم وأنت تمثل الجميع،، وتجد ضائع في ندوة .. معجب يقفز ويشير لهم في سعادة، وأنت هنا لا تمثل نفسك .. فأنت في هذه الحالة نسب أحمد أو عبد الله أو عبد اللطيف .. أنت هنا الجمهور، أما هم فكل واحد فيهم يمثل نفســه..

هذه الهالة الأسطورية التي تحيط بهم، تسمح للخيال بأن يطلق لنفسه العنان، فيرسم صورا غريبة وحكايات مثل ألف ليلة وليلة وقد تلقي الظروف بواحد منا، ويجد نفسه وجهاً لوجه مع واحد من هؤلاء السادة.. في صورة سباك يصلح له حنفية .. أو نقاش يدهن له الشقة أو كهربائي .. وتظل هذه اللحظة التاريخية .. هي حكايته المفضلة حينما كان يعمل في فيللا فلان بيه

وحتى يجعل حكايته مثيرة يضيف إليها كثيراً من عنده، ولكنه يؤكد دائماً أنه يمتلك موهبة خاصة، تمكنه من التعامل مع أسياده والتفاهم معهم، فهم يتكلمون لغة أخرى، وطالما أن اللحظة التاريخية لم يشهدها أحد.. فلا مانع ترصيعه من «قشرة» بيضاء . كما قال له الوزير: حتاخد مني كام في الشغلانة دي؟! رد هو بطلاقة . حاخد أمين حسنه يا باشا ويسأله المخصوص باهتمام وإزاي ذلك؟! يرد في انتصار: لازم يديني من غير ما يشوف.. طلع المبلغ وادهولي

ويظل يحكي.. وجد الدولاب ممتلئاً حتى آخره برزم الفلوس . أكوام أكوام وإنه - طبعاً - بشرط أمانته لم يمد يده على حبة حتى عاد السيد إلى البيت. فشخط فيه العمر.. هو شخص في السيد: سايب فلوسك في الدولاب!! حد يعمل كده!! فيرد السيد باطمئنان . أنا واثق فيك يا سيدي . ده إنت تزودهم.. هذه حكاية أنا واثق من كذبها . ليس شكاً في أمانة الأوسطى، ولا شكاً في عقلية السيد، الذي يضع فلوسه في الدولاب.. وربما لأنني سمعتها أكثر من خمسين مرة.. ومن خمسين صنايعي مختلفين، ولا يمكن بالطبع أن تحدث كل هذه المرات بالتفاصيل نفسها.. وإنما هي رغبة الصنايعي في أن يجعل علاقته بالسيد علاقة وثيقة. ويتكلمان كأنهما أصدقاء..

وأول مرة دخلت فيها أوتيل خمس نجوم . حدثت مشكلة وشعرت بتوتر من نظافة وأناقة المكان وحينما وجدت الجرسون مرتدي البدلة الأنيقة . حالقًا ذقنه . مهذبًا شعره . وهو يسألنى : أؤمر يافندم . أتلخمت . لأننى يجب أن أتحدث لإنجليزية أو الفرنسية حتى يكون مناسبًا للموقف . وقلت الكلمة التى أوصانى بها أصدقاء من مرتادى الأوتيلات : «فينيه بوفر» كنت أطلب مشروب أو أى حاجة . وجدته كلا . وأخذت أعد الفلوس التى فى جيبى عدة مرات . ولكننى كدت أموت من الرعب رغم أن المبلغ كبير ومناسب . ولكن .. كل هذا السجاد والتحف من حولى . لكم تصورت أنه سيحاسبنى عليه . منذ أول لى إحساس ميت جيبه . وطبعا لم أذق شيئا من الطبق . ولكنى دفعت وخلصت وكسرت حاجز الرهبة بعد ذلك . كنت أستطيع بكل جرأة أن أميل على المتر فى فخم أوتيل وأقول له . شوف لى قرن فلفل حراق من المطبخ .. بصله خضره .

ولا أروع من تلك الشخصية الفانية التى حكاها لنا تشيكوف فى قصة «حلة اسمه» وهى شخصية الترزى «ميركولوف» الذى كان يأنف أن يفصل للفلاحين ، معتمدا على تاريخه فى تفصيل الملابس الفخمة للسادة الكبار . وميركولوف يعطيك إحساسًا بأنه ترزى محترف . يتكلم فقط عن أمجاده . حينما خيط لكونت «أندريه»

حلة بأشرطة ذهبية، ومن أعلى أنواع الجوخ والصدر كله بالذهب إذا أمسكتها بين يديك، وجدت النبض في عروقك ينقبض تسيث . تسيك السادة الحقيقيون نوع زمان عندما تخطط لهم إياك أن تزعجهم خذ المقاس هكذا بالنظر، وخيط علطول إنما أن تتردد عليهم لعمل بروفات وضبط لتفصيل فهذا غلط رسمي . خذ المقاس وخيط علطول. اقفز من أعلى البرج، شرط أن تدخل بقدميك في الحذاء مباشرة.

ويظل يتحدث ميركولوف عن السادة العظماء الذين خيط لهم، ويبكي على حظه الذي ألقى به في هذه القرية الفقيرة، حيث لا نبلاء ولا عظماء ولا سادة، ثم يعود ويقول سأموت الأفضل أن أموت على أن أفصل معطف فلاحي.

وفجأة جاءت زوجته وصرخت فيه أيها الأبله اذهب إلى البيت ضابط يسأل عنك، فدهش ميركولوف وسألها أي ضابط؟! قالت وما أدراني يقول إنه جاء ليفصل بدلة وانتفض ميركولوف من مكانه وترك الجميع، فهو منذ خمسة عشر عاما لم ير وجها من وجوه السادة..

وهناك رأى النقيب يسأله أين كنت تتسكع يا حيوان أتستطيع أن تفصل لي بدلة؟ قال الترزي والسعادة تكاد تنفجر من وجهه. يا صاحب المعالي ومن هذا جديد علي؟ لقد فصلت لبارون فلان

وبكولوبيل فلان ... اه ... يا امرأة هاتي كرسي لصاحب المعالي

ونظر له التورى نظرة حيرى، وقال: يا صاحب المعالي ... أنا أحدث مقاس معاليكم بنظرة واحدة، قال النقيب طيب ... القماش من عندك ... وتكون جاهزة بعد أسبوع. كم تريد؟ ورد التورى بسرعة، العفو يا صاحب المعالي ... وضحك ضحكة قصيرة ساخرة. أنا أعرف كيف أتعامل مع السادة.. حتى عندما فصلت للقنصل الفرنسي ... فصلتها دون كلام ... إنه لشرف كبير

ومشى النقيب ... ووقف ميركولوف في وسط الغرفة، وهو يحدق في زوجته ببلاهة ... وأرغمها أن تبيع البقرة الوحيدة التي يعيشان منها لكي يشترى الجوخ.. وكف التورى عن الذهاب إلى القهوة التي يجلس فيها الفلاحون. وبعد أسبوع كانت البدله جاهزة.. وبعد أن كواها ولفها في قطعة من القماش النظيف.. توجه بها إلى النقيب ... وقال له: البدلة يا صاحب المعالي ... فقال له النقيب حطها هنا ... يالله

وانصرف التورى.. عائدا لزوجته التي استقبلته تسأله ... كم دفع لك النقيب، فقال لها ساخراً يالك من حمقاء - إن السادة حقيقي لايدفعون فوراً ... اصبري يا فلاحة ... اصبري، وظل التورى يتردد على النقيب ... ولا يحصل على ثمن البدلة . مرة ... يطرده ... مرة يشخط فيه ... مرة يتظاهر بالانشغال والعصبية

ويعود ميركولوف بلا أى شىء .. ولكنه كان سعيداً بحق.
فيكفى أن يسأله أحد المارة رايح فين يا ميركولوف؟! فيرد فى
لاطة .. رايح للنقيب صاحب المعالى عاوزنى .. جاى منين يا عم؟
يقول.. كُنت عند النقيب..

إلى أن أتى يوم كان النقيب فى القرية، وكان ميركولوف وزوجته
هناك .. وقالت له الزوجة .. هو هو، اذهب إليه .. واطلب ثمن
البدلة حالاً .. وما أن ذهب إليه حتى فاض الكيل بالنقيب، وانهال
عليه ضرباً وهو يقول أصحرتنى ياحيوان

وسقط ميركولوف وتملك الذهول زوجته، ولكن لدهشتها البالغة
كان وجه زوجها رغم الدماء والكدمات يتهلل بابتسامة عطة، بينما
اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول .. هؤلاء هم السادة
الحقيقيون .. بس كلاس .. هذا بالضبط ما فعله معى البارون
والكولونيل والقنصل .. يا زوجتى إنتى فلاحة .. لاتفهمين شيئاً
هؤلاء هم السادة يا عطية!! وأنا أعرف جيداً كيف أتعامل مع
السادة.

# تسمح لى أخطب.. ودك

شخص يقف أمام منصة وأمامه ميكروفون فى سرادق عظيم . وجمع غفير من الناس أتوا من كل مكان لكى يسمعوه. هؤلاء الناس - بعكس ما يحدث فى المسرح - لا يدفعون ثمن الفرجة بل على أنهم الذين يقصدون. رغم أن الرجل فى خطبته الطويلة يمس قضاياهم هم، ويجيد الرجل انتقاء الألفاظ والتعبيرات المؤثرة ببراعة. وصوته يعلو ويهبط فى أماكن بعينها، ثم يتصاعد تصفيق الجمهور أحياناً. ويحدث هذا فى الوقت الذى يريده هو، وكأن هناك اتفاقاً ليس معلناً بينه وبينهم؛ ثم جعل شخص ناشئاً فى خطبه الكثيرة يصرخ فى الناس فجأة: إيه .. ما تصقفوش ليه؟ فلتهب الأكف بالتصفيق الحاد.

ويبدو أن الخطابة كانت ظاهرة اجتماعية ملموسة فى مصر حتى أن المدارس كان بها جماعات للخطابة، تعلم التلاميذ كيف يمتلكون ناصية الكلام والتأثير فى الناس. وكل زعمائنا الكبار كانوا خطباء على أعلى مستوى. والخطبة تشبه مونودراما، يؤديها ممثل واحد، وكان مصطفى كامل حينما يخطب، يضع يداً على قلبه ويده

الأخرى ممدودة مع جسمه المائل إلى الأمام، وكأنه يلقى بنفسه فى أحضان الجمهور، وكانت خطبة واحدة كفيلة بإشعال الثورة وتحريك الرأى العام..

ولم تكن الخطب مقصورة على الموضوعات الوطنية، بل كانت هناك خطب كثيرة عن السعادة والوفاء وكل الشئون الإنسانية والاجتماعية.. إنها طبيعة أصيلة فى بنى آدم.. حتى عند حلول المصيبة نجد فى طبيعة الإنسان حبًا للظهور. والتأثير يجعله يقول.. آه.. انظروا كيف أتألم..

وموسم الخطابة بلا شك هو أيام الانتخابات.. وهنا تتحكم الخطبة فى قرارات الناس بشأن مرشحيهم، وهؤلاء الذين لا يجيدون فن الكلام يصبح موقفهم عسيرًا بحق.. فيرفعون شعار "دعونا نعمل فى صمت"، والصمت هنا ليس إلا قصر ذيل وخط دفاع ضد هؤلاء المكلمنجية الكبار..

ويحكى أن أحدهم كان مرشحًا فى الانتخابات فى الأربعينيات ولما لم يكن يستطيع أن يؤثر فى الناس بالكلام.. ابتكر نوعًا جديدًا من الدعاية.. حيث كان بالدائرة سوق للبهائم، يفد إليه الفلاحون من أبناء الدايرة لبيع بهائمهم، وكان صاحب السوق يتقاضى من كل من يدخل بهيمة قرشًا، ثم يعطيه تصريحًا بالدخول.. فاتفق المرشح مع صاحب السوق أن يدفع هو رسم الدخول لكل داخل، على أن

يوزع على الناخبين تصريحات مجانية كتب فيها «هذه هدية بسيطة من فلان خادمكم ومرشحكم، فأيدوه» وجاء الفلاحون إلى السوق، وفوجئوا بهذه الهدية فأحدثت في نفوسهم أثرًا حسنًا، وعلم منافس المرشح بما حدث، وكان خطيبًا مفوهًا فأسرع يخطب في الناس «يا أيها الناس.. لا تخدعكم هذه الأمور التافهة.. فالمرشح لم يدفع القرش لكم.. وإنما للبهائم كي تدخل السوق مجانًا.. فلتنتخبه البهائم.. أما أنتم فعار عليكم أن تنتخبوه» وخسر المرشح وراحت فلوسه أونطة، أمام الخطبة التي ألقاها المرشح المنافس!!

ويظل صراع الانتخابات هو معركة كلامية وخطب رنانة، جعلت أبو بثينة الزجال الشهير يكفر بكل هذه الخطب.. ويقول

شهرين وجمعة والمركة دايرة
والنـــاس جميعـًا بيسمعوهـــا

نفوســنا حايــرة أحزانــا ثايــرة
وكـــل مــاذا.. بيوسعوهــا

وكل حزب طاعن فـــى دايـــرة
بيقسمــوهـــا ويوزعــوهـــا

ده قسمة عادلة ودي قسمة حايرة
باباس مرارتــى راح تفقعوهـــا

حللوا الحكاية يا خلق سايرة

ظروفنا وحشة يا ناس راعوها

وفى الخناقة مصر اللى حايرة

بيشدوا فيها ح يمزعوها

وإحنا شبعنا م الناس معايرة

ح نوقعوا . وتوقعوها

يعنى أمّا تلقوا مصالحها بايرة

تبقوا ساعتها راح تنفعوها؟!

وجاءت تلك الخطبة الزجلية الرائعة لأبى شبكة . ببساطتها وتحديها عن الكلكعة والجعجعة والأنماط الرنانة لطمة قاسية على أفواه بائعى الكلام. والغريب أن كلماته هذه لو كتبت لمسارح سبين، لكانت معبرة أصدق تعبير عما يحدث الآن.

ولم تكن الخطابة اختراعاً مصرياً . فكل زعماء العالم تخصصوا بالكلمة قبل المدفع . وبالخطبة قبل الصاروخ . فهذا هتلر وموسوليني وستالين يظهرون فى ميلودرامات مهولة، تلهب الجماهير. وحتى روزفلت، على الرغم من أنه أصيب بشلل فى ساقيه وعاهة مستديمة ولكنه قال.. إنهما القلب والرأس اللذان يقودان الرجل إلى النجاح والتأثير لا الساقين . وذات مرة من فرط اندماجه فى الخطبة، نسى أنه مشلول، وكاد يعتمد على يديه

فى اثناء حسمه على المنصة أثناء خطبته فسقط على الأرض فقام الجمهور بالهتاف له والتصفيق.

أما أكثر الخطباء جاذبية فكان سعد زغلول بلا منازع فكان له صوت ساحر مميز، وكانت الآلاف تحتشد لسماعه وتطرب له وتسلطن، وحينما فقد أخاه احتشدت الجماهير لتسمع ماذا سيقول الزعيم فى رثاء أخيه العزيز.. وطلع سعد باشا على المنصة والكل فى انتظار ما سيقوله فى لهفة.. وإذا به ينظر للناس نظرة طويلة ثم.. ينخرط فى بكاء طويل، ويترك المنصة دون كلمة واحدة وكانت أبلغ خطبة قالها الزعيم.

وفى أعقاب ثورة ١٩ عهد سعد زغلول على نفسه ألا يدخل مسرحاً، أو أى دار لهو، حتى تنال مصر استقلالها، وظل وفياً على عهده حتى سنة ٢٧.

وكانت فرقة منيرة المهدية تقدم رواية أنطونيو وكليوباترا بنجاح عظيم، وتكاثر عليه أصدقاؤه واصطحبوه ذات ليلة إلى المسرح، وتقدمت منيرة المهدية إلى مقصورة الزعيم تشكره على تشريفه مسرحها، وتقدم له شاب صغيراً واعداً اسمه محمد عبد الوهاب، وانتهز تلك الفرصة الأستاذ منصور عوض مدير شركة الجرامفون المصرية، التى كانت تسجل اسطوانات منيرة المهدية، واستأذن الزعيم أن يسجل بصوته خطبة صغيرة على أسطوانة، وعرض الزعيم فى

البداية، ولكنهم نجحوا عقب ذلك في أن استطاع بالفعل أن يسجل خطبة قصيرة يستغرق سماعها خمس دقائق، وأرسلت الأسطوانة إلى ألمانيا لطبع نسخ منها..

إلا أن الشركة تلقت بعد أيام رسالة من ألمانيا، تطلب فيها من المعامل إعادة تسجيل الأسطوانة لأن الصوت به بعض الخشخشة. وجرى مشوار عودة إلي بيت الأمة. ولكنه فوجئ بتعب سعد باشا الذي مرض بعدها وفارق الحياة. واحتفظت ألمانيا بالأسطوانة وحرمت منها مصر نهائيا، وما أحوجنا إليها في هذه الأيام بالذات ومن يعلم. ألا يمكن أن يحرك صوته - برغم الخشخشة - عقولنا وأفئدتنا ويعيد إلينا الروح ويبث فينا الأمل.. بدلا من الأصوات الرديئة التي أفسدت آذاننا والتي ما أشبهها بالخاطبة. التي تلقى عليك خطبة عصماء في جمال العروسة ورقتها.. وهدوئها إلى أن تتزوجها وتتدبس، لتكتشف أن ذلك كله كان مجرد دعاية انتخابية كاذبة.

# شـارون .. وآخـرون

في الأفلام القديمة تتجاوز الزوجة اللعوبة المغرية كل الحدود وتتطاول على زوجها المسكين في ضعف ومهانة. إلى أن (ولابد أن يحدث هذا قبل نهاية الفيلم) إلى أن يلسعها قلم على وجهها. وهو يزأر كالأسد. فتصفق السينما كلها: أيوه كده ياراجل. تسلم إيدك.

وهذا التطاول والتمادي في الفساد من الزوجة، سببه الرئيسي هو التنازلات التي ظل الزوج يقدمها إلى أن فاض به الكيل في المهانة وعليه فالفساد مثل الإدمان.. كلما أوغلت في تعاطيه، صار الإقلاع عنه غاية في الصعوبة، بل وتصبح مهمة الزوج الأخيرة في نزع القلم وإعادة الأمور إلى نصابها شبه مستحيلة

ونظرة سريعة غير متأنية لما يجري حولنا سنجد أن مسلسل تطاول الزوجة وتبجحها وقلة أدبها قد طال جدًا وصار مسلسلا من عشرات الأجزاء، وسنظل نتفرج ولا أمل في هذا القلم الأخير على وشها.. الذي يشفي الغليل ويعدل المائل.

فهذا شارون يحرق كل العهود والمواثيق بكل جرأة وبكل

بحجة ... كجوهرة قديمة ملصقة، وواقفة في وسط الشارع تشم الريح
وحاي تقدع الفقط ودنيها، والعرض مستمر ... ونفيسه لا يريد أن
ينتهي ... أن فهم يوسف وهبي وعبد الوارث عسر أو حتى عبد
الفتاح القصري ... بمد ... خلاص ... ح تنزل مرة دي لكن مرة
الجاية لا يمكن تنزل أبداً..

وفي الوقت نفسه وبترمس غريب، تدعى كل القيم وتسقط كل
الرموز ... فالصحافة التي هي قلعة الشرف ومنبر الكلمة الحرة
أصابها الأسد فهمي هويدي في حملة المدهنة في أمس، وزوجها
قلم حامي له دوى كبير، وزوجة من كتب تكلم عن أنه حول الهمس
إلى صوت عال له دوى ... ولا أعلم لماذا شعرت وأنا أقرأ له ... أنه
شاعر ... فإن أحب وأنت تحب، ولكننا حينما نحاول أن نعبر عن هذا
الحب ... نضرب جملة ... ونرتبك ... ولكنه فعلها بكل جرأة ... بكل
شاعرية تلك الشهرة التي سيهمس بها

وهل من فساد أكبر من صحافة مرتشية مدفوعة الثمن؟! واسمه
أجر للرشوة أسمعه هذه الأيام الرئيس ... ولكن هذا خاص بضيوف
بعض البرامج في التلفزيون ... فالأصل أن يدفعوا لك كي تتكلم،
أما أن تدفع أنت من أجل أن تتكلم، فهذه أعجوبة جديدة من
أعاجيب الفساد ... محطات جديدة فضائية مدفوعة تعرض عليك أن
تتكلم وهؤلاء سيدفعون ... لن يقفلوا على أنفسهم مليماً واحداً

منك.. ولكنهم سيدفعون لك كى تقول الكلام الذى يريدونه
ريس من نوع آخر..

وكل شىء الآن للبيع . المقال.. العمود . الصفحة الرأى
البرنامج . الموقف.. الفيلم والمسرحية والمسلسل . المهم حاب
كام،، المهم يعمل مصلحة ؟! وستطلع تعبيرات منكرة مثل . ده
مررق، يمسك التراب يبأه دهب.. وليس مهمًا على الإطلاق أن
تكون الأغنية هابطة بالذوق العام. أو أن يكون الفيلم مسفًا
وستجرى الدنيا كلها وراء هذا «المررق» بمنطق حاور السعيد تسعد

وأدهشنى ذات يوم أن زارنى ببيتى صحفى شاب.. وتعجب من
تواضع وبساطة منزلى الصغير، وسألنى متعجبًا. كل هذه الأعمال
الفنية التى كتبتها والمقالات والكتب . وهذا هو بيتك؟!! قلت له
ببساطة.. لأن هذه الأعمال التى ذكرتها هى التى عمتها فعلاً
فهذا الأنتريه اشتريته من أول مسرحية. والتحف. من فيلم
كذا . والمطبخ ده من ستتى فى سبع كتب ألفتها . الكتابة
ياصديقى.. هذا هو أقصى ما تحققه.. أما الفيلات والبيسينات.
والقصور الضخمة فلا يمكن أن تأتى من الكتابة . وأنا لا أخجل من
بساطة بيتى وأثاثه المتواضع، وأن أجلس بين أعمالى، ومن أعمالكم
سلط عليكم.. اقعد استريح.. على مهلك فهذا الكرسى القديم
من سهرة ألفتها فى بداياتى. ما تريحش عليه قوى.

نعم .. أتفق معك .. لقد كتبت كثيرًا .. ولكن الكاتب الذي يصدق ما يكتبه ويؤمن به لا يستطيع أن يكون شاطرًا في البيع أيضًا .. هل تعلم أن زعيمًا وطنيًا كبيرًا كأحمد عرابي، حينما صودرت أملاكه وأصبح في الحديدة بعد نفيه في جزيرة سيلان، استضافه اللورد ليبتون صاحب الشاي المعروف باسمه في مزارع الشاي، التي يمتلكها في الهند .. وظل عرابي في ضيافته أكثر من أربعة شهور.

وأعجب اللورد بالباشا إعجابًا كبيرًا .. وصارت بينهما صداقة وشاي وريح وشاي حتى .. وذات يوم عرض اللورد ليبتون على عرابي باشا أن يضع اسمه على الشاي الذي تخرجه مزارعه ويصبح اسمه شاي عرابي باشا. مقابل خمسين ألف جنيه..

وكان المبلغ في ذلك الحين كبيرًا جدًا .. فقد كانت الثورة العرابية قد فشلت .. فشل عرابي فأصبح [illegible] بالكامل .. وكان عرضه على الباشا في وقت عصيب .. لرجل مفلس .. وواقع بظروفه صعبة .. ولكن وللعجب .. رفض عرابي باشا العرض بعنف وزرعه القلم بشتيمة حينما قال له: يا خواجه ليبتون .. نحن مسلمون.. ومن باع اسمه.. فقد باع دينه.

(تعقيب: في هذا المقال البديع للزميل يوسف معاطي لفتة لغوية ذكية فكلمة "شارون" هي من الشراء، ومعناها "مشترون" .. أما من يريد أن يفهم من كلمة "شارون" غير ذلك .. فهو حر!)

# تحرير أمريكا

لست خبيراً بحياة السجون لأنى لم أسجن بعد، ولا بحياة القبور لأنى لم أمت بعد، ولست خبيراً بالآلام لأن نوعية آلامى من تلك النوعية التى يمكن أن يطلق عليها «آلام طبيعية» مرض فراق الأحباب إحساس بعدم التقدير . صداع مدوخ، حتى تسمم شوية برد أشياء من هذا القبيل.

ولكن الألم الذى أقصده هو ذلك الألم الخرافى المهول الذى لم يصفه أحد بعد.. تخيل أن تقع فوق رأسك طوبة فى حجم العمارة. طوب.. هل ستكون هناك فرصة للشعور بالألم وهل هذا الألم يمكن التعبير عنه

قلت لنفسى ما هى التركيبة المدهشة لذلك الطفل، الذى يقف بحجر مواجهاً للدبابات والصواريخ بصدره الذى يشبه صدر دجاجة صغيرة. وكيف يتحمل ـ وأنا رأيت ذلك ـ رصاصة تخترق كتفه الهزيل؟! ثم يجرى فى شجاعة، وهو يقول ساخراً فيه رصاصة فى كتفى وكأنه لاعب ناشئ أحرز هدفاً ويجرى سعيداً، وهو يموت

جنون، قالوا لي إن ذلك الطفل تدرب جيداً. فهو يدخل القبر وهو لم يبلغ العاشرة بعد ويغلقون عليه القبر لمدة ٢٤ ساعة ثم بعد ذلك يخرجونه ويسألونه: ماذا رأيت؟!

وهكذا يصبح القبر الذي دخله بإرادته وهو حي مسألة هينة جداً، إذا دخله ميتاً، وصارت [illegible] صهيونية برهة جميلة [illegible] حينما يكون للألم هدف أسمى، يتحول إلى مرتبة كبرى تقترب من المتعة... كمتعة أم تتعذب وهي تلد. لذلك لا ينبغي أن ننظر إلى الألم، كما هو مجرد من الدوافع التي تؤدي إليه، والتي تجعله في من أرقى الصنوف وأرفعها، وأنا في الحقيقة لست متعاطفاً مع الشعب الفلسطيني بقدر ما أنا مبهور بهم. فقوم مثل هؤلاء مدهش، بقدر ما أن جحافل الأسى تجرح وتضيق فقط.

وصديقي يصر ويقول لي: اكتب [illegible] قوى [illegible] عما قد حدث.

ماذا اكتب يا أخي؟! إن الكتابة عنهم تصبح عاراً، فالسيف الذي هو أصدق أنباء من الكتب، ليس في يدي ولا أستطيع أن أحمله. الأدب في حالة كريهة، كريهة للغاية وكريهة للظاهر. فالمشكلة ليست خلاف إسرائيل وفلسطين. المشكلة خلالها أمريكا.

إنها المدينة التي دخلت أذن الطفل، فأصابته بالجنون، وجعلته جثة في أصابعها. لاشك أن موسيكا لا تزال هي نقطة الضعف والعاهرة التي أذاقته الأمرين، وزوجته اسمع زوجات جعلته يؤمن بأن

الـ ... ترمى بلاها عليك، وتجيب اللى فيها فيك ... وعلمته أن يحترس ويفكر ألف مرة قبل أن يقول الحق. والصهيونية ما هى إلا موبيك جديدة. ولا تسألنى بأه أين الضمير الإنسانى ... فالضمير وهم، هو صوت يحذرك من فعل الشىء بعد أن تفعله طبعًا، ولكن الضمير الأمريكى لا يتحرك لا قبل ولا بعد.

أما هذه البدل والكرافتات الشيك التى تجلس وتتحاور وتتكلم باسم الدبلوماسية، فهم جميعًا يعلمون جيدًا أن الدبلوماسية وسيلة للتعبير عن أحدث الموضات بأدق العبارات، والقيام بأدنى الأعمال، تحت قناع الشرف والنزاهة.

القلم نفسه الذى وقع اتفاقية بوقف العنف، كان يوقع أسفلها ورقة جديدة بقصف رفح، وإسالة المزيد من الدماء ... قالها ترومان الرئيس الديمقراطى سنة ٤٦ أدخلوا إلى فلسطين مئة ألف يهودى فما هب منافسه الجمهورى (ديوى) معترضًا، وقال ما هذا الطمع وهذا التقييد.. أدخلوهم بالملايين

وتاريخ الاحتلال الإسرائيلى للولايات المتحدة الأمريكية ليس بعيد، فهم كانوا فى البداية يعاملون أسوأ معاملة، وكانت هناك محلات كثيرة مكتوب عليها لافتة «ممنوع الدخول لليهود وللكلاب»، فإذا كان الزنجى سيعرف بلونه ... كيف سيعرف اليهودى؟! بعضهم كان يعتمد على حاسة الشم ... وقيل أن مجموعة من اليهود فى بداية

الأربعينيات دخلوا أحد المطاعم الأمريكية لتناول الغداء، وجاء المتردوتيل، وتقدم من أكبرهم وأشار إلى اللافتة . ولكنهم ثاروا في وجهه، وقال أحدهم: أين حقوق الإنسان؟ أين الدستور الأمريكي؟ أين الديمقراطية، فما كان من الجرسون إلا أن خرج إلى الحديقة، وعاد ومعه ثلاثة زنوج كانوا يعملون في الحديقة، وأجلسهم بجوار اليهود على المائدة ... وسرعان ما احتجوا وثاروا وطالبوا بإخراج الزنوج ... فرد عليهم الجرسون قائلاً: وأين حقوق الإنسان.. وأين الدستور الأمريكي فخرجوا ساخطين لاعنين.

وبدأت من هنا فكرة الاحتلال الإسرائيلي للمجتمع الأمريكي، ماذا يريد شخص ليس لديه تاريخ ولا حضارة ولا جذور؟ شيئان لا ثالث لهما: الفلوس والجنس، وهكذا صار القواد لعبة في يد العاهرة ... صار يحتضنها ويدافع عنها، ويقف تحت الشقة التي تمارس فيها الرذيلة، ممسكاً لها بالبالطو أحسن تأخذ برد ولا حاجة.

ولكن هذا يقبل الشباب الأمريكي هذا الوضع المهين لبلاد تتغنى بالحرية وبحقوق الإنسان.. أليس عندهم هناك في نيويورك أو لوس أنجلوس حجارة .. طوب .. زلط .. أستطيع أن أكون وسيطاً في صفقة لتصدير الحجارة من فلسطين إلى هناك .. ولكن من يلقي بالحجارة؟!

# توكلت على الله

ترى هل انتحر قائد الطائرة الخليجية فى البحرين هو الآخر؟

ترى هل قالها وسجلها الصندوق الأسود «توكلت على الله»

فالخبراء الأمريكان الذين يتبدون بتفسير نكبات الطائرات والغواصات، يؤكدون أن الطائرات لا تسقط ولا تنتحر، بينما العنصر هو الذى يسقط وهو الذى ينتحر.

ومن الأسباب العلمية التى تؤدى إلى سقوط طائرة أن يحدث شلل مفاجئ فى المحركات، أو فى الروافع الخفية التى ترتفع بدلل الطائرة، أو أن يكون الطيار مصريا!!! وقد قتلت الكونكورد الفعلية التى سقطت أخيراً من الاحتمال الأخير، وإن كان بعضهم يؤكد أن مصريا (ترصه) قال «توكلت على الله» وضرب بنيته

عزيزى القارئ اعذرنى فكم المرارة التى أشعر بها فى حلقى كبير.. آه يبدو أنها انفقعت ياعزيزى أعنى المرارة طبعا

والحمد لله أن طبعنا برءه من غرق الغواصة الروسية من قبلها،

فنحن نخصص طائرات، مش فى المواصلات النووية ولا غير النووية..

وحينما هبطت طائرة بوينج الداخلية فى مدن هبوط اضطرارى فى شيكاغو، علمت أن السبب هو مشاجرة بين زوج وزوجته، كانا مسافرين على الطائرة ولا يعلم أحد سبب خلافه قبل أنهم سمعوا صوت قلم يطرقع، والزوج يصرخ فى زوجته . يا هانم يا صب حدى وراح مسولها بوكس فى عينيها

وحاول المضيفون والمضيفات تهدئتهما بلا جدوى وسجل الصندوق الأسود أطول فصل من الردح بين زوج وزوجته، وخرج الطيار من الكابينة وشخط فيهم كأى سواق ميكروباص.. ولكن الست شلاليت وبوكسات، ولم تربط الزوجة حزام، وإنما خلعته ونهالت به على زوجها ثم حط الطيار بهم فى شيكاغو ونزلت نصيرة وقال لهم اتنوا وش صيرت وكان البوكس فى انتظارهم صف ويؤكد الخبراء أن الزوجين كانا فى حالة ود وانسجام، إلى أن صرت لا سفر بينهم واحد مصرى برضه

نهايته كنت أحس أمام التليفزيون فى أيدى مخيبة، شغل فيه وأمارس هوايتى فى تقليب المحطات، ولا أستقر كالعادة عند محطة معينة وكأنى باشقر عليهم، فهذه غنوة حفظتها ضمن الفيديو كليب

متاعها.. وهذا فيلم أقسم أنى أستطيع أن أقولك حواره بالكامل، ولا أنسى كلمة، وهذا برنامج حوارى يدعى أنه يناقش قضية وبكل المحظورات كثيرة، لا يجرؤ على أن يقترب منها، وقضية ماهى إلا المحظورات لا أكثر ولا أقل.. إلى أن.. إلى أن.. شاهدت وسمعت الفاجعة فتسمرت أمام الشاشة

ماهذا الذى أمامى؟!.. إنه الموت.. الموت الرهيب الذى لا يليه أى شىء.. غناء ولا منطق ولا أى شىء محدد.. سوى ذلك الشئون العدم، الذى يقشعر له البدن.. مدد، لو كنا نحن على الطائرة.. أنا أو أنت.. باستر يارب.. إذا هى هكذا تأتى فجأة بلا مقدمات وتنتاب الناس أدم منا حالة صوفية من التسليم إلى إرادة الله.. لا الواحد بأه يرجع ينتظم فى الصلاة.. ويبطل حركات النص كما اللى بيعملها لايكدب ولا ينافق ولا يصارع على منصب.. على إيه كله فانى.. محدش بياخد حاجة معاه..

وتستمر هذه الحالة الصوفية النورانية الرائعة.. يومين.. ثلاثة أسبوع على الأكثر.. ثم تعود حياة بكل قوتها الغاشمة، وتتحرك التروس فى هذه الآلة الكبرى.. وننسى، ويعود الكذب فى كذبه، والانتهازى إلى انتهازيته، والمنافق يردد نفاقه

حكايات كثيرة كتبت على الطائرة المنكوبة، كلها تحمل عنوان سخرية القدر..

هذا الذى كان مسافرا فى الطائرة التى سقطت، وتشاجر مع أحد الواقفين فى الطابور، ولم يستطع أن يلحق بالطائرة، فعمل المدع ووسايط حتى يلحق بالطائرة التى تلتهمه .. حتى يلحق بقدره

وآخر ذهب لكى يسافر فى الطائرة نفسها وتعطلت إجراءات سفره .. وخرج من المطار مكتئبا يلعن حظه .. وقال فى زهق يارب حظى .. ولم يستجب له الله . فسقطت الطائرة ونجا هو..

وست جميلة كانت تحلم أن ترتدى اليونيفورم، وتصبح مضيفة وتحقق حلمها وضاع الحلم بعد أشهر قليلة.

اللهم لا اعتراض على مشيئتك .. كان جالسا فى السرادقة التى بجوارى، وهو يشرب الشيشة، وفجأة.. سكت .. تصورت فى البداية أن الفحم خلص .. ولكنهم قالوا إنه عمره .. هكذا بلا طائرات ولا غواصات

ولكن .. كم مصريا كان على متن الطائرة المنكوبة؟! ٦٣ مصريا حوالى نصف الطائرة مصريون؟! حتى فى الموت نحن أغلبية، ولماذا سافر هؤلاء ولماذا يسافر غيرهم ويتغربون .. ولماذا كلما سافرت إلى بلد عربى أو أوروبى، أراهم هناك فى حالة اللهث خلف لقمة العيش، يتحملون الغربة الحديدية فى ألمانيا . ويتحملون الاضطهاد فى كل بلد.. من أجل ماذا؟!

لماذا يقف شباب بالطوابير أمام السفارات يعاملون أسوأ معاملة لمجرد أن يتسلم الواحد منهم «أبليكيشن» ربما يعطونه نسخة الإلهية. الميرا لأوروبا التي تشحذ، والغارقة في الجنس والدعارة والحقارة..

ولماذا يضيع شباب زهرة أعمارهم في الخليج، ويعودون بعد معاناة السنين بمروحة وخلاط وذكريات البهدلة كل هذا حتى تمتلئ أسطح بيوتنا الريفية بأطباق الدش؟

إن البني آدم المصري هو أغلى حاجة عندنا، فلماذا يرخص هكذا ويتشحطط هكذا، بينما تفتح بلاد الطيبة ذراعيها لكل ضيف وبالأحضان.

هؤلاء الذين سقطوا مع الطائرة المنكوبة مهندسون ومدرسون شبان في غاية الروعة. ومع ذلك لم تسقط طائرات هؤلاء الذين نهبوا فلوس البلد وهربوا له في ذلك حكم أعرابي حررت «توكلت على الله» عنوانا لمقالي هذا فإذا حدث وإن كتب لأسبوع القادم أظن إنتو ح تفهموا اللي حصل لي

# ماتحسبهاش بالمصرى

حينما أسافر إلى الخارج أعود نفسي بمجرد أن أضع قدمي على أرض البلد الغريب أن أتبع المثل الذي يقول: في روما افعل كما يفعل الرومان.. وفي إنجلترا مشيها إنجليزي.. وفي فرنسا أعمل فرنساوي.. ولا تحسبها بالمصري أبداً فالجنيه الإنجليزي رغم أنه يبلع له ستة وشوية مصري إذا خرج من جيبك، لكنني أنظر إليه في لندن على أنه جنيه.. مجرد جنيه ولو نص قدمي.. راح ولا جه هوه جنيه

وقد حدث أنني شربت حجر شيشة في إحدى مقاهي لندن

وعلمت أن الحجر هناك بسبعة جنيهات إذا ضربت في ستة.. يعني ٤٢ جنيهاً مصرياً.. وهمس لي صديقي الجالس بجواري مندهشاً: حجر باثنين وأربعين جنيه، قلت له: وأربعين [illegible].. ماتحسبهاش بالمصري [illegible] في لندن و[illegible] في المطار، ده إذا عرفت تعير [illegible] بلدي [illegible].. وهذا ما فعلته

عبرت [illegible] الإنجليزي و[illegible] الإنجليزي، و[illegible] بالبرود

الإنجليزى وجلست فى بيتى الإنجليزى لأبدو مرتديًا الروب دى شامبر، وأن أشرب شاى الساعة الخامسة «فايف أوكلوك تى» فقد شاهدنى بهذه الحالة من يصدق أننى يوسف معطى، وإنما جوزيف ماجور، وجلست أتابع النيوز أعنى النشرة فى البى بى سى «BBC»، ويالهول ما رأيت هذا بيتر ماندلسون، وهو لمن لا يعلم وزير إنجليزى مهم جدًا وشاطر جدًا، وعلاوة على ذلك فهو الصديق الأنتيم «الحميم» لتونى بلير رئيس الوزراء، كما أنه كان السبب الرئيسى فى نجاح بلير فى الانتخابات كل ده جميل بيوتيفول بيه حكاية بيتر ماندلسون بأه، لقد أجبروه على أن يقدم استقالته طبعًا انت تتساءل مين اللى اجبروه؟

راجل وصل لحد ده حد يقدر يهوب ناحيته؟ آه .. حنرجع تانى نتكلم مصرى؟

أرجوك يا أخى بلاش تو سدن نرمان هناك اكتشف أن الأخ الوزير ماندلسون، كان له واحد صاحبه بيجرى على باسبور وصاحب معالى الوزير قال إيه بيوصى عليه فى إدارة الجوازات إن الإجراءات تمشى بسرعة، فكراها عرفه أبوه عليها وراحو مولعين الدنيا، وأخروه إن هو اللى خلى بسرعة مش الإجراءات، ووقف الراجل واعترف أنه فعلاً توسط لفلان إن الباسبور يمشى، وعلى فكرة فلان ده مش ضارب لصقه ولا هربان من حكم ده الباسبور ماشى واتعمل كمان، أمال إيه القصة؟

القصة إن إدى وزير يتوسط لحد ويميزه عن بقية الشعب .. ما نفف في الطابور زي خلق الله، ووقف رئيس الوزراء توني بلير والدمعة ح تفر من عينه، وقال ده أحسن وزير عندي ياجماعة، أفرط فيه بالساهل كده، وهاج البرلمان واستسلم بلير، وقال القانون قانون، ولو بلير زود في الكلام كانوا طيروه هوه كمان، وعلى الرغم من أن «ماندلسون» يعني وزير نابغة ومشهود له بذلك من الأعداء قبل الأصدقاء، لبسوه الخلابيه في ثانية، وعينوا مكانه وزير جديد اسمه جون ريد، زمانه بيمسح في الزبادي طبعًا، ومفيش حد هوب ناحيته في أي مصلحة، ولو هوه نفسه حب يعمل باسبور ح يدوخ السبع دوخات، زيه زي أي كناس في شارع أوكسفورد.

وسألت نفسي - هل تفرط إنجلترا في رجل سياسي داهية وناجح كل هذا النجاح، لمجرد إنه يعني اتوسط واسطة صغيرة لحد .. قال لي راجل إنجليزي منهم حدا شغال قهوجي في القهوة، إللي الحجر فيها سمعة جنيه، ياسيدي إنجلترا بها وزراء أكفاء كثيرون، ولكن قيمتهم هم الذين يتسمون بطهارة اليد وصحوة الضمير، والذي يقع في الصغيرة - يقع في الكبيرة، بل إن هناك قانونًا في إنجلترا يفرض على أي مسئول يتقاضى هدية أو أي واجب أو بوسة من أي حد أن يسجلها في البرلمان، ويثبتها، حتى إذا حاول أحدهم أن يلوث سمعة المسئول، نعلم أنه أثبت كل شيء في البرلمان، ومع ذلك استطاع

الفايد المليونير المصرى بهداياه أن يرفد اثنين من وزراء الإنجليز، ويشرد واحدا، حينما أثبت لهم أن الوزير انعشى سمك وجمبرى، وبات ليله بلبوشى فى فندق الفايد ولا يستبعد أن يذهب وزير إنجليزى إلى البرلمان ليثبت فى مصطبة أن أحد رجال الأعمال عزم عليه بسيجارة فرط إمبارح الساعة ستة وربع

أعرانى.. إذ كنت قد قررت من البداية ألا أحسبها بالمصرى، حتى لا أتعقد وأنا أرى الجنيه ساعى يتحول إلى برميل ورق على يد الجنيه الإنجليزى، فيما يختص بالمواقف وحكاية صندوق فضل ألا أحسبها بالمصرى وأيضا للسبب نفسه، وعموما لا يجب أن نخجل من الجنيه المصرى، فهو يعمل له ساعة فيه سودانى برضه

# سيئاتى .. ساستى

انتخابات .. انتخابات .. تحيط بنا من كل جانب .. تحاصرنا كل المحطات ووكالات الأنباء .. أمريكا - راعية السلام - وإسرائيل - المسألة كل منهما تغير جلدها وتعيد توزيع الأدوار، فتسلط الضوء على أشخاص بعينهم .. وتسحبه من آخرين، ونحن نتابع .. ونرصد وتحلل..

ننظر إلى جورج بوش الابن، وهو يحيى الجماهير فى التليفزيون، فيعلو صوت حوارنا الداخلى.. ده حتة من أبوه .. شكله بالضبط .. ويعلق أحدث قائلا .. على فكره شكله مش ميال لإسرائيل قوى .. ويتساءل آخر .. هل سيكمل الابن مشروعات بابا فى العراق، حتى ينطبق المثل من شابه أباه فما ظلم، ويقدم بوش نفسه كرجل متدين .. يذهب إلى الكنيسة ويشكر ربنا .. لازم طبعًا .. التى اتلسع من شوربة ينفخ فى الزبادى، والأمريكان يصدقون.. ويصفقون.. ويحتفلون..

وسيودعون كلينتون وداعا حارًا كبطل شعبى لفيلم مثير، حقق أعلى الإيرادات رغم أنه فنيًا كان دون المستوى .. وسيسمحون له أن

يعقد قرن سته على خطيبها في الست الأنص في معدرته،
وسيكون المشهد النهائي في فيلم كليتون زواج الأننة في فرح
أسطوري وأبوها وأمها واقفين بيصقفوا لمحمد فؤاد وهو بيغني.
وس. أقف على كده.. كده أحلى قيبل وسيقف في الفرح
بين المعازيم ك جور بيبتسم في مرارة، فقد خرج من البيت الأبيض
بلا حمص، وسيربت كليتون على كتفه ويقول فكها يا ك جور
ياخويا إحنا عاورين إيه من الدنيا، غير إن العيال تفرح وتنبسط.
وسيدخل الفرح عمو بارك، ويأخذ كلينتون بالأحضان ويقول له
باسم شوف، على الرغم من اللى انا فيه ماقدرتش ماحضرش الفرح
فين نتنا لأمورة لما أبوسها. ويسأل كليتون شارون فين وشبهو
أوعى تقول ماجوش معاك؟!
يرد بارك وراي. جايين وراي، ثم يهمس له في أذنه فتندا
منهم ستة إمبارح ماجيبنش نيجى الفرح بأيدينا فاضية ويدخل
شباهو وهو يرقص على أنغام محمد فؤاد كدب مغرور قال إيه
بيحب، ويهمس بارك لكلينتون فاكر نفسه ح يكسب
الانتخابات.. عبيط. ودى شارون الثاني أهوه عشان ما دخل
المسجد بالعساكر، وعمل شورة، فاكر نفسه ح يشقفها مني شوف
ب نيل يا خويا. أما أكثر واحد من اللى حكموا إسرائيل سعى
للسلام، وأكتر واحد فيهم عمل مدابح وخلا الدم للركب يبقى
مراضي لكل..

وتبدأ دينا الراقصة فقرتها الاستعراضية البديعة.. هنا تنظر هيلاري لكلينتون نظرة ذات مغزى، فيترك القاعة فورًا.. ويخرج إلى الحديقة.. فيجد الرئيس جورج بوش الابن، وقد أتى ليعمل الواجب.. فيعانقه كلينتون بحب.. وهو يقول ثانك يو مستر بريزدنت.. ثانك يو.. في مشهد مطابق تمامًا لما حدث لخديو إسماعيل، حينما تسلم قرار خلعه من الخديوية.. ونادى على ابنه توفيق وقال له.. مبروك يا أفندينا..

ويخرج الثلاثة شارون وباراك ونتنياهو جريًا إلى الحديقة حينما علموا بقدوم الرئيس الجديد.. وهات يا سلامات.. ويقول له باراك.. خلي بالك يا ريس إحنا لينا نظام خاص هنا في البيت الأبيض.. ما نخرجش ولا بندخلش.. إحنا من البيت، مش غُرب..

وتبدأ فرقعة زجاجات الشمبانيا الفاخرة.. ومعها يبدأ التورتات الشهيرة ويستمر الحفل حتى الساعات الأولى من الفجر.

ويحضر جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض، وقد صار رئيسه. فينادي على مديرة البيت.. ويأمرها أن تغسله بالفنيك والديتول بعد ما فعله كلينتون وفريقه.. فترد مديرة البيت.. سأفعل يا سيدي، ولكن لا أعتقد أن تزول هذه الرائحة التي تضايقك، فقد كان في الحفل ثلاثة من المجاريم، إذ تواجدوا بمكان تظل رائحتهم عالقة به.. وتنتشر وتستمر وتستمر.

# لا أكتب لكم من لندن

لاشك أن من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في كتب الرحلات.. حالة التيقظ والانتباه والرصد والاندهاش ثم تسجيل مشاهداته هذه بأسلوب حدث مثير حتى لو اضطر أحيانا إلى بعض المبالغة والتأليف، فيحكي إخواننا الرحالة عن أسود تعيش في سلام مع البني آدمين، وعن حصان بأجنحة ونحن كقراء نعمل اللي علينا.. وندهش.

وأنا أحمد الله أني لم أعمل كتبا للرحلات، وأعترف أني أفتقد إلى كل هذه الصفات السالفة الذكر، التي تصنع كتب الرحلات فلا تيقظ ولا انتباه وإنما حالة من التوهان والشرود والخمول أيضا، فأنا أنام في الطائرة، وأنام في التاكسي من المطار إلى الأوتيل..

وبمجرد ما أن أصل إلى الأوتيل ألقي بنفسي على السرير لأرتاح من عناء النوم طول الرحلة.. وبالتالي صعب على القارئ أن ينقل مشاهداتي في رحلاتي، التي أقضي معظم وقتي فيها نائما وإذا كان ولابد أن أكتب عن رحلاتي فأنا أعد كتابا ضخما مهولا

عن الفرق بين النوم في لندن والنوم في باريس، ولكن كدرتني الذكرى أنني حينما أسافر، لا أتعجب ولا أندهش، وأتحول إلى شيء عديم حيلة مهما رأيت. نزلت من الطيارة. ذهبت إلى الأوتيل، وضعت الحقيبة وفتحت النافذة ونظرت إلى المنظر. زهقت. عاوز أرجع والله العظيم زي ما بقولكوا كده

وتصور أننا جميعاً حينما نسافر من مصر ونركب الطيارة ونربط الأحزمة نحن في واقع الأمر لا نسافر وإن مصر هي التي تسافر معنا تماماً كما كنت أتخيل، وأنا طفل جالس بجوار أبي في القطار، أن الشجر وعواميد النور والبلاد هي التي تتحرك وتبتعد. هكذا شعرت وأنا أرى العمارات والناس والسيارات تصغر حتى تبتعد عني، فسفر حالة.

وليس معنى أني قطعت تذكرة وحملت الباسبور أنني سافرت، وليس معنى أنك هنا في بيتك ووسط أهلك أنك لست مسافراً فما أكثر المسافرين بعقولهم وهم بين... ولأنني عاشق وسيئ بعدوة بكل ما هو مصري، فأنا لا أنبهر ولا أندهش لأي شيء غريب، أراه أمامي في بلاد الفرنجة..

وهذه أولى سقطاتي ككاتب رحلات محترف. فالمطر وقد بدأ يقصف فجأة، وسط الشارع، ويعيث في قمة متنبهة كده على عينك، ودون سابق إنذار. يستدعي إلى شاشة ذهني على الفور مصر وقد

وبنت فى شارع، يعيشان قصة حب أكثر سخونة والتهاباً، ولكنها لم تتعد النظرات واللمسات، التي يكون مصير معظمها فى الأرض ضعفاً، وتلك البيوت الإنجليزية العريقة ذات الأعمدة والبوابات الرخام لا تحرك لي شعرة، بلكونة مشمسة فى ميدان لندن، تطل منها امرأة عجوز، وهي تدلدل السِّت... بالدنيا كلها

كل منظر أراه يستدعي منظراً آخر فى مصر أجمل وأروع بكثير لازلت لا أستطيع أن أسافر، على الرغم من أنني أكتب لكم من قلب لندن... ولكن من قال إن لندن لها قلب؟ الشوارع دمها ثقيل بشكل، والناس هناك لايبتسمون ولا يقدمون أي معونة لأى حد وقعت بنت فى وسط الطريق، وفى يدها سيجارة الماريجوانا لاتزال مشتعلة.. وقفت السيارات فى صف طويل... تنتظر البنت حتى تفيق من تلقاء نفسها، لا أحد يقترب منها أو يلمسها، لا أحد يشممها بصلة أو ينشطها بالقلم... كلهم جالسون فى سياراتهم ينظرون إلى الأفق... كأن الإشارة حمراء... حتى الناس المشاة حول البنت. يحملقون فيها... يتفرجون... وبعد ساعة ونصف جاءت سيارة الإسعاف.

ماذا يعني الشجر الجميل... والبحيرة... والطبيعة الخلابة وحديقة الهايد بارك وأين الناس؟! أين الناس الآدميين... أنا لا أحب أن أتفرج على الصور، أنا أحب القراءة... وهنا صعب جدا أن تقرأ أى

بني آدم إنهم كتب مغلقة لاتظهر من عناوينها ولكنهم فقط يعشقون القانون.. يدفعون الضرائب لايكسرون الإشارات.

والتزام حتى في أوكار الجنس وبيوت الدعارة، ولذا لفت نظري ذلك الشحاذ الإنجليزي المعدم، الذي وقف ينقب في صفيحة القمامة عن بقايا يأكلها، وإذا به يجد جوزة لب فيخرجها ثم ينظر بدقة إلى التيكيت، ليرى إذا كانت فترة صلاحيتها لاتزال سارية أم لا؟!

كنت أتسكع في أجوار رود (أحد شوارع لندن)

وعلى مقهى بغدادي جلست جانوني شيشة وشاي بالنعناع. وأحضر لي صدرق طعمباية سخنة وحطها لي في بقي. ودخل قنديل صاحب المقهى وقال لي اسمع دي.. بيقولك مرة واحدة وجاء الأصدقاء وانقلبت القعدة مسخرة. وبعد كل هذا هل أدعي أنني سافرت إلى لندن؟! كداب في أصل وشي.

قلت لبلال. وهو مصري ضخم يعمل بودي جارد حليق الرأس كعماريت الأفلام، ولكنه بشر طيبة وجدعنة سانته. هوه عم محمود في لندن ولا في مصر؟! قال لي هنا.. ده عمنا كلنا أكلمهولك، قلت له كلمه طبعًا. وجاءني صوت عم محمود السعدني وأنا جالس في أجوار رود، كأنه يأخذني من قفايا ويعيدني إلى قهوة في الحسين. انت جيت إمتى ياض يا يوسف.. إنت فين. جبلي الواد بلال بحيث.. بسرعة أحسن ح اطلع عين اهلك عاوز أشوفك ياض يا معاطي وذهبت إليه..

بعد يومين استقبلنى كوشنج، لأننى تأخرت فى الزيارة. وجلست أنا وهو وأكرم السعدنى الرقيق جدا مرهف الحس جدا، وقلت لنفسى هل هذا الشبل الوديع الجميل من ذات الأسد الساحر العظيم.

ولكن الأسد لو تأملته قليلاً لوجدت أن به رقة وبه عدوانية وتنافس رقة وعدوانية أكرم السعدنى كمان وعلطول جت اللحمة والطاطس والشوربة والعيش والسلطات، وكنت فى الجيزة بالضبط، وجاءت الجرايد ونتخيل الميمريون على المصطبة المصرية ونصب عمنا الكبير سيرك بحكايات المهونة والأفكار البديعة ودبت فى صالون السعدنى. لا لم يكن صالونًا كان قعدة حلوة تربيحة جميلة. وبعد كل هذا هل أستطيع أن أتجرأ وأقول إنى سافرت إلى لندن، أين هى لندن؟! قول يا عم محمود.. قول يا أستاذ.

وبعد العشوة السعدنية الفخمة أصبحت دماغى محتاجة لفنجان معسل حلوين وطبق ع القهوة. ألاقى مين؟! جنة السكر أستاذ الشاعر الرحال المفترى شفيق سلوم أحصنة قلاب أشعار أبيات وحكايات.. قول ياسى شفيق

وأراى فى لندن راح أكشر
وبناتها فزدق متقشر

أغمز بعينى كده وأشِرّ
أخلف ظنونى.
واملأ بالحب عيونى
وأوصل بقى لمستر تونى
وقولله طالب إيد تاتشر.

والقعدة عمالة تحلو . وإذ تساقط الكبير على أبو شادى وساقط الكبير كمال رمزى هما كمان حبيبى بعينى !! ودينى ما أن مشى وفتحت المكيمة. فى لهو فى السياسة فى الحب . فى كل حاجة [illegible] واحتفت تندل ثمة [illegible] خرجت من الكادر [illegible] صرت مجرد كومبارس فى هذا الحضور المصرى الطاغى [illegible] للمحبين وكان هذا هو الاحتلال المصرى للأراضى الإنجليزية فى أجوار رود من قال إننا نسافر من مصر إلى [illegible] فقط نقطع التذاكر.. ونركب الطائرة.. و.. نتظاهر بالسفر.

# جت معايا كده

يقول لى فى سعادة، وهو جالس على مكتبه الفاخر، ولعب بحيط به.. طيب تصدق ولا كنت على بالى حاجة من اللى أنا فيه ده خالص، هيه جت معايا كده، معدى فى الشارع كمان ومش طايق روحى.. وح أفرقع ألاقيلك مين؟! واد صاحبى من زمان ودفعتى فى (الدبلوم) وكان فقر.. جدنى بالبوش والأحضان وألاقيت سلسلة جنزير دهب فى رقبته. قلت له إيه الوضع ... فاللى تروح البحرين؟! قلت له أروح هنا هنا، يوم من اتنين، بقيت فى البحرين وجدتها سلكاوى بقى، ماسبتش بلد فى الخليج ماروحتهاش..

كنت أضرب إيدى فى جيبى أطلع ريالات ودراهم ودنانير وفتحت ... تشرب عصير علب ... أشرب ده حلو ... ده (كمبوت) مش من هنا، ويظل صاحبنا هذا يحكى كيف جت معاه كده لكل من يقابله، والكل يتحسر ويتمنى ... يسلام لو تيجى معايا كده بـ كمان..

ومؤلف أعرفه يقسم لى هو أيضاً بها جت معاه كده ... قعد مع

جماعة آلاتيه وبعمل دماغ ومسلطنين، وأنا بقى محسوح في
قعدتي .. أحب أمسي كبير وألاقي الكل حواليا عالي .. كان معانا
واحد (مترب) يعني يعني .. شد نفس حمد وبكر ومساً علينا، حدف
منه الملاي بتاع الششة، وقلت له عليا النعمة نحنث .. رص لي
حجر تاني، وعمل لي كرمة في القعدة .. حدفت منه الحجر، وقلت
له عليا النعمة نحنث .. احمله نعشش في يافوخه .. وقفني أنا ح
حد مسك الكلام ده .. نغوة ضربت .. بقيت مش ملاحق
وأهوه جتْ معايا كده..

وبعمل (ألوت) جديد نفوت منه باللي اتنى نعت حشيش وحية
أمك ما تانا سايبك .. بس (الركبة) وقفني في كلمة ما أنا سايبك
دي مش عارف له .. فت يا سيدي ولا يهمك هي الرقبة كده عايم
بكذيه وحت معهم كده.

ويحكي الأديب المعروف يوسف بك المويلحي أن عدداً من علماء
الفقه في تركيا يسولي على قلب أحد السلاطين بعلمه وقوة منطقه
وسعة مداركه، فغار منه الوزراء، وأرسل رئيسهم إلى الأزهر
الشريف يرسل أحد علماء الأزهر، يساطره ويبهره ويسقط منزلته من
عين السلطان..

ودعا لولي علماء الأزهر، وأخبرهم برغبة رئيس الوزراء فخرجوا
مهمومين خائفين من السفر والغرق، حيث كان السفر أيامها بالمراكب
الشراعية ولا يحبو الا .. وصادفهم بائع بطيخ اسمه الحاج

حسين فسألهم عما عمهم فأخبروه، فقال: أرسلوني إلى الآستانة، لأنى أتمنى أن أراها، لا أبالى أن أموت فى الطريق فألبسوه جبة وقفطانا وعمامة كبيرة وأخذوه إلى الوالى، وكان تركيًا فأرسله إلى الآستانة، وهناك أقام له السلطان الأعظم وليمة، دعا إليها العالم التركى فى علوم الفقه..

فقال الحاج حسين: إذا شاء فليتكلم، فقال له العالم التركى تريد الكلام فى أى باب يامولانا قال الحاج حسين باب الشعرية فبهت العالم التركى، فلم يدر أنه رأى من أبواب الفقه أو الحديث بابا يقال له باب الشعرية، فقال أسفًا: لم يعرض على هذا الباب فاختر غيره.. فقال الحاج حسين نتكلم فى باب اللوق فكانت حيرة العالم التركى أكثر، وقال ولا هذا الباب أتذكره، فانصرف بنا إلى باب آخر، وظل الحاج حسين يذكر له أبواب القاهرة ولا يعرف العالم أنها جميعًا أبواب حديد، وليست أبواب علوم، وقام من المجلس مفحومًا

وعلم السلطان أن عالمًا مصريًا من الأزهر سأل العالم التركى عن أربعة عشر بابا من أبواب العلوم، فلم ينطق بكلمة. فعزله وأنعم على الحاج حسين بياع الطبيخ بكسوة سنية ومال كثير، ورده إلى مصر أحسن رد، ولم يعد الحاج حسين يبيع الطبيخ وسمى نفسه الشيخ حسين مفتى الديار التركية، وحينما سأله علماء الأزهر كيف استطاع أن يصل إلى كل هذا أجاب: حظ مغرب كده

# الحامل.. والمحمـول

كارت أنيق وحدته أمامى على المصدقة، وضعه أمامى شاب، يبتسم فى لزوجة، وهو يقول لى بلا تكليف إبراهيم بيه بيسلم عليك.

امسكت بالكارت، وقرأت الاسم إبراهيم عبد الغنى .. ثم فى ظهر الكارت. عزيزى جو .. أرجو الاهتمام بحامله .. ورأى كلمتى يا عادل.. وبحثت فى ذاكرتى عن اسم إبراهيم عبد الغنى .. فلم أتذكر .. إن شخصا يخاطبنى بجو .. ثم .. يا عادل، لابد وأنه صديق حميم. لعل .. بنه .. زهايمر

قلت لحامله معلش .. أنا آسف. أصل الواحد فى غيبوبة. ياريت بس تفكرنى.. إبراهيم مين؟!

أجاب الرجل الحامل:

تكذب حيبة. الحقيقة أنا معرفهوش. أنا أعرف سنبطال بيه .. وهو اللى جاب لى الكارت من إبراهيم بيه .. لكن .. كنت ما بعرفهوش .. مفيش مشاكل .. أعرفك بيه من بكره

أديلك كارت لسليمان بيه، وهوه يعرفك بإبراهيم بيه.

قلت له في ضيق:

ومين قالّك إني عاوز أعرفه..

أجاب في غتاتة منقطعة النظير:

وماله يا باشا معارف حلوة ما تحسرش

قلت له في غيظ أرجوك أنا مش فاضي ... سيبك من الكورت

دي.. إنتا عاوز إيه.. قول وخلصني..

أجاب في ود مصطنع:

أنا عاوز كارت من سعادتك لحسني بيه الشربيني، أنا عارف إنه

صاحب سعادتك، ولا يمكن يرفض لك طلب

قلت له في نفاد صبر

بت عاوز إيه من حسني.. إيه طلبك

أجاب وهو يهدئ من روعي:

اهدأ يا يوسف بيه.. أنا مش عاوز حاجة من حسني بيه ... أنا

بس عاوز كارت من سعادتك له عشان يهتم بيّ

قلت له غاضبًا يهتم بيك في إيه مثلًا مثلًا فهمني

أجاب:

الحقيقة الخدمة اللي ليا مش عند حسني بيه ... اللي يخلص لي

الموضوع شاعر ناصف بيه عبد الحميد ... وده صاحب حسني بيه

[illegible] واتجوز [illegible] قبل ما حد كان من سعادتك يحس بيه

وهو ده اللي كان يوسف بيه [illegible] دي حكاية [illegible] معمش [illegible]

[illegible] ده بس سعادتك [illegible] تعبت قوي خدمات [illegible]

لسعادتك شوف ياباشا.

وأخرج من جيبه رزمة من الكروت..

قلت له في غيظ:

كل هذه الكذبات لكي تنال يوسف عبد الحميد، ولماذا لم تختصر المشوار وتروح له علطول..

ضحك ساخرا وقال يعني لو روحت له كده وأنا واقف قدامه كده ح يرضى يشوفني

قلت له:

لماذا لم تعرف ذلك؟ لماذا لم تنجح؟! لم تطرق الباب بشجاعة؟!

قال لي وابتسامة صفراء على شفتيه: ياباشا ما إنت سيد العارفين هيه ماشية كده.. ويوسف بيه عشان يعمل لي خدمة، لازم برضه يكون فيه حد يعزز طلبي..

قلت له:

ما إنت ماقولتش حد دلوقتي إنت عاوز إيه من يوسف عبد الحميد،

قال لي في فرح: شكلك كده تعرفه ياباشا.. أنا عارف كلهم حبايبك.. أكيد تعرفه.. والنبي تعرفه؟!

قلت له:

أعرفه.. عاوز إيه..

قال، وهو يحثو أمامي على ركبتيه:

أنا واقع في عرضك .. يعني سيبك من حسني الشربيني، ادني كارت لناصف علطول..

قلت له وأنا أكاد أضربه [illegible] شلوت في وشه

أكتب له إيه في الكارت .. حدد [illegible]

قال: حاجة بسيطة قوي .. [illegible]

المبنوي

[illegible] وأمسكت الكروت كلها، وقذفته بها في وجهه .. ومضى بعد أن لملم كروته ساخطا، وأقسم أن يبلغ إبراهيم بيه عبد الغني صديقي [illegible]، الذي لا أعرفه، ثم [illegible] ولم يعنني ذلك [illegible] فأنا مستعد لأن أخسر إبراهيم عبد الغني، وهذا الشاب حامل الكروت الذي يعتبر [illegible] "وصية" عمري، يكمل بها مشوار كروته الطويل .. حتى يصل لا أعلم من .. [illegible] رحلته عندي في نهايته، بل ربما كانت خدمته عندي .. [illegible] الكروت والوسايط والتوصيات..

يأتيني شاعر وقبل أن يقدم لي شعره يقدم لي كارتاً من فلان ومطرب قبل أن يسمعني صوته يسمعني صوت فلان على [illegible]

يوصيني عليه، وهذا ليس له معنى، سوى أننا فقدنا الثقة بالمواهب والإمكانيات الحقيقية، وفي قدرتها على إثبات الذات

وفي فرنسا أيام الحرب العالمية.. كانت الوساطة على أشدها.

وكان الجندي الذي له سند، يستطيع أن ينتقل بالواسطة إلى مواقع أكثر أمناً من هؤلاء الغلابة، الذين يلقى بهم في الصفوف الأولى

ويحكى أن رجلاً دخل الجيش وعين جندياً، ولما وجد الظروف سيئة.. وأنه ليس لديه واسطة حاول أن يترك الجندية، فذهب إلى طبيب الفرقة، وشكى له ضعف بصره، فسأله الطبيب:

كيف تثبت لي ضعف بصرك..

فقال الجندي: المسألة في غاية البساطة يا دكتور.. هل ترى هذه الشجرة البعيدة التي هناك؟

فأجاب الطبيب: نعم

فقال الجندي: حسنا.. أنا لا أراها..

وحكاية أخرى طريفة جداً حدثت في المدينة.. حينما ذهبت قريبة ولي العهد إلى صاحب أحد المخابز، كان يطلب فتاة لتساعده في البيع، وأرادت الأميرة أن تقصد صاحب المخبز لتوصيه على ابنة كانت قد لجأت إليها.

دخلت الأميرة المخبز، وقد صبغ الحياء وجهها، وقالت مترددة

قرأت إعلانك في جريدة وعلمت أنك تريد فتاة تساعدك

فابتسم الساحر ولم يكن يعرف الأميرة، و[illegible] بها حتى [illegible]

ووضع يده على كتفها قائلاً:

بكل أسف يا بنتي لا أرى شكلك مناسبا ولكن لا بأس عودي لي بعد شهر، وأحضري معك ما [illegible] من شهادات [illegible] هتف بها قائلاً: ما اسمك يا ابنتي؟!

قالت: سيسيليا

قال: هل أنت متزوجة؟

قالت: نعم

قال: وما صنعة زوجك

قالت: الآن.. لاشيء ولكنه سيكون يوماً ما [illegible]

# غـنا القـاهـرة

المثل الشعبي يقول (ابعد عن الشر وغنّيله) وهو مثل يهدف طبعا إيثار السلامة وتجنب المواجهة، وإذا تصرف جميعنا هذا التصرف مع الأشرار ولو كل واحد فينا أخذ له ركن بعيد هادئ، وقعد يغني لأصبح الشر محاط بأوبرا أو سيمفونية رائعة من الغناء

فهذا رجل متطفل دخل عليك ليقتل جهنميتك وفي يده سنجة ماذا تفعل؟. تسيبه وتجري على طول. وتقف في البلكونة تغني.. عنابادي ليادي اليادي يا قلوب متدارية يا قلوب متدارية تاما جرح الورد أيادي حتى الحبيبة ويرد عليك الجيران في كورال رائع حتى الحبيبة حتى الحبيبة

وهذا موظف رمى في وشك الطلب وقام مسمرا لكي يعتدي عليك ماذا تفعل؟ أوعى من وشه الساعة دي تصبح براه الأوضة فورا وتقف في الممر و .. سبهم كل دقة في قلبي تسلم عليك يا واحشني من زمان، في نور عينيك ويرد عليك بقية المواطنين في كورال أكثر تأثيرا يا واحشني يا واحشني.

باختصار شديد لا تواجه . ولا تعمل فيها عنتر وضع في رأسك مقولة داروين بيها البقاء للأقوى صبب وفي صحته مش مساعده في حالتك؟ ليس أمامه سوى أن يفعل شيئين بعد و . يعني وتعني تمراحت أحس م نعي عصب عنك فالأشرار أصحاب مزاج ولا تستبعد أن يأتوا بك في أي وقت ويصرح فيك لقوى الشرير آمرًا . عبلي شوى شوى وهو ستعى وتستصص ورحمك فوق رقبتك

وتحكي لك الأسطورة أن الملك مينا موحد القطرين بعد أن جلس على العرش ولبس التاج المزدوج، وقف المنشدون من بعيد يغنون له مينا مينا مس كما كنه عاوزين مينا

وفي حينك العتيبة موائف تنفست بعد ونعسا دخل بيتك سعه الغد في عز حر شبب شدم صرخة اسور ده اللي انت عارفه ده، ولقيت صهد بعد عنك صبع من وشه وبدأت اسكيك اللي إنت حافظه صم به اللي أحرك؟ فتح حرمة عند الباب مالك مسوط كده ليه؟ هذه الأسئلة التاريخية، حتى قالتها الملكة نفرتاري للملك رمسيس الثاني، وهو راجع من الموسم بت ه؟ مدا تفعل؟ أولا بعد أي امر عن السرير ع احمام عطوب ودش حمص وديها سى بتتع عنيك رس بيه دور طقصوفه أي حاجة ١١١ حش ع بتدم بوين أبيعك خلاص بويت لله يست مسره

د البعد عن الأشرار والعين، لهم حل مصرى عصرى، وهو خلاصة التجربة المصرية الطويلة فى الحياة الاف السنين

قلت هذا لصديقى الضعيف، الذى يشكو من تمشى قوى الشر وتهديدها به فى كل لحظة كل لحظة .

قلت له الوصفة بلدى السحرية . إبعد وغنى قال لى إبعد أروح فين؟ دول فى كل حته وغنى إزاى؟ أنا صوتى وحش وتركى، ولكنه يبدو أنه رجع نفسه وعمل بنصيحتى لأن هو بسم الله ما شاء الله عامل سب ألومات

بريلا صدمة ع الطريق والسائق بيزعق عليك، وانت فى سيارتك التى هى فى الأصل (ميدالية) حمص لى فيها عفريت ومقطع الصاقة وترسل عليه؟ ح يعصك تقوم تعمل إيه؟ تبعد عنه خالص وتاخد نفسك وتقعد فى عربيتك زى البنات كده و.. تغنى

عندك أن مثلا سيارتى سرقت خمس مرات من تحت البيت، وأثرت وقت الدنيا، ورحت القسم، وما حصلش أى حاجة حتى لسكر والبهرده تصبح قمت لقيتها مسروقة للسادس مرة مد أعمل؟ وقفت أغنى فى البلكونة مرقت تمشى معك والأغنية بتهد، كما تزول، يسقط و صح وحمد دعى على اللص، الذى اعتبرنى مصدر دخله الأساسى .

انظروا إلى العصافير الجميلة . إذا اقترب منها حيوان مفترس ماذا تفعل؟.. تطير بسرعة مبتعدة من أمامه، وتبدأ في الزقزقة الرائعة، فتملأ الكون بهاء وبهجة .

ومن الأشياء المعروفة عن طبائع الحيوانات أنها حينما تسمع زئير الأسد أو تشتم رائحته.. تنخلع قلوبها، وتفقد رشدها وتسيء التصرف، فبدلاً من أن تهرب من طريقه، تجدها تجرى دون وعى وتلقى بنفسها فى أحضانه، فبطن الخوف بطبيعتها أن تنشئ الحركة حركة هجومية، بينما هى هجوم معكوس، تقوم به أعصاب مختلة .. فتسعى بها إلى موت أكيد ومصير محتوم .

إن الاختلاف مع الأقوى.. لا بد منه بالتأكيد .. ولكن لا أكثر بد منه أن تملك القدرة على هذا الاختلاف. وقد جمعتنى جلسة مع ملاكم محترف يهوى الأدب، وقال فى معرض حديثه إن روحه العقاد هى التى وفرت له الجو الملائم لكى يبدع .. فقلت له معتذرا .. ولكن العقاد لم يتزوج. .. هنا بدأ يتوتر حينما أحس بجهله .. ووجدت عضلاته تنفر من تحت كم القميص. فقلت له مستدركاً.. حاير، فأجاب بعنف.. لا .. كان متجوز .. بالله عليكم إذا تمسكت برأيى وتطور الموقف، ماذا كنت سأجنى فى النهاية؟ خلاص ياعم كان متجوز.

[illegible] من قبل [illegible] مثل [illegible] التي كان لها شأن
كبير في [illegible] بعد وفاة [illegible] الثورة [illegible] وذات
يوم [illegible] مع ([illegible]) الدكتور [illegible] في
[illegible] فهو كان من [illegible] لا أن [illegible] صدره، وهددها [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible] وكان [illegible] أن [illegible] و[illegible]
تقدير بحدد إقامتها.. مع زوجها طبعًا.

# حظ عوالم

في سيمفونية الفقر اليومي التي نعيشها هذه الأيام .. نجد تعبيرات مثل الأكليشيهات صارت على الألسن. مثل " ... مشية معاك النسبة لعت ... ده عدى يا ... "

الغريب أن هذا الكلام تردده كل الطبقات بمختلف درجاتها، ولا يخلو أي مكان يحس به بعض الناس، إلا من وصلة من الغل والحسد، وكأنه مشروع الحقد القومي مثل مشروع تجديد الأسس أو مثل مشروع المرور، ويعتب الكثيرون على الحظ، لأنه يختص ناس برعايته وعطفه، بينما يتجاهل آخرين ربما كانوا أحق من غيرهم

و "حظ عوالم" .. هو تعبير عن الحظ حينما يعطى بلا حساب كالسقوط يهطل على رأس العالمة والفرقة .. ولكن الحظ ليس أعمى، ولا يذهب إلى الناس بشكل عشوائي .. وإنما يختار بدقة هؤلاء المحظوظين بالذكاء ويذهب إليهم .

ويحكى أن رجلاً يدعى "خسرو" عاش في جزيرة تعمه بسبب الفقر .. وأرضه الجدباء، يبكي حظه التعس .. حيث إن زرعته تتلف كل عام، بينما يجني أخوه "فيروز" من أرضه أطيب الثمرات، وفي

لنفسه في غبط وغل ... بل يستيقظ في منتصف الليل ويأخذ فأسه ويزرعه ويشرب من ماء نبعه، ويتعدى على أسوار بستان أخيه ... فلماذا أصل إلى هذه الحالة المتردية، وهو...

وقرر «خسرو» أن يذهب ليلاً إلى بستان أخيه، ويفسد الزرع ويدمر الأشجار والأزهار ... وفجأة انتصب أمام عينيه شيخ عجيب يضحك في سخرية، وهو يقول:

«هل تتصور يا خسرو أنك تستطيع بسهولة أن تنزل الأذى بأخيك..

وارتجف خسرو، وسأل الرجل:

من أنت ؟

فقال الشيخ: أنا حظه ... حظ أخيك ولكني ساهر عليه ... مهتم بأموره. اذهب يا أخي، وأيقظ حظك النائم بدلاً من أن تحقد على الناس

قال خسرو يائساً:

وأنا ليس لي حظ.. فقال له الشيخ:

كل واحد في الدنيا له حظه، ولكن حظك للأسف من الحظوظ النائمة.. هيا إذهب إليه.. وأيقظه.

وبدأت رحلة خسرو في البحث عن حظه. وبينما هو سائر بين الجبال ... برز له أسد عظيم هجم عليه ... فبكى خسرو، وحكى له حكاية سعيه وراء حظه ... فرق له قلب الأسد ... وتركه يسير، ولكنه

اشترط أن يسأل خسرو حظه حينما يلقاه في أمر يؤرقه، وهو أنه مهما أكل لا يشبع، فوعده خسرو بذلك ومضى في طريقه.. فوجد رجلاً عجوزاً يقذفه بالصخور وكان يبدو حزينًا.

وحكى له خسرو القصة.. فطلب منه الرجل العجوز أن يستشير حظه هو الآخر في مشكلة.. وهي أنه يملك كنزاً عظيماً، ولكنه لا يقدر على الانتفاع به.. فوعده خسرو بذلك ومضى.. ليقع هذه المرة في أيدي حراس مدينة عظيمة، مكبلاً بالسلاسل، وألقوه بين قدمي الملك، الذي كان عنده مشكلة هو الآخر.. إنه يشعر بالسأم والشقاء ويريد العلاج..

وانطلق «خسرو» الباحث عن حظه، حتى وجد نفسه في واد عميق ولمح شخصاً نائماً، فأيقن أنه حظه، فهرول إليه.. إصحى يانعم.. إصحى يا نقرتي.. واستيقظ النائم.. وقال حينما رأى خسرو.. خسرو.. أنا حظك، لا تؤاخذني يا سي.. مادمت قد أيقظتني.. اطمئن ح تفتح معاك.. والدنية ح تضحك.. وح تهدى ولكن الفرص الكثيرة تحتاج إلى من يغتنمها، وقص عليه خسرو حكاية الأسد.. والعجوز.. والملك.. وأسئلتهم التي لا يعرف لها جواباً.

فقال له حظه..

اطمئن.. سر في طريقك، وسوف أوحي لك بالإجابة في وقتها..

وعاد خسرو من حيث أتى راجعًا ومر على الملك . وما إن مثل أمامه حتى وجد نفسه يقول.. أيها الملك إن سبب شقائك وألمك أنك امرأة وتخفى عن شعبك ذلك فاعترفي بالحقيقة وابحثي عن زوج يشاطرك متاعب الحكم حينئذ ستجدين السعادة الهاربة من بين يديك، قال الملك وهو يخلع تاجه فينسدل شعره الأسود الطويل صدقت يا خسرو والآن سأصارح شعبي بالحقيقة وأتزوجك لتصبح ملك للبلاد.

هنا قال خسرو لنفسه:

وهذه بداية حظى، لابد وأن حظى سيقودنى إلى أحسن من ذلك فغادر المملكة ومضى فى سبيله حتى وجد الشيخ صاحب الكنوز

فقال له

يا شيخ سبب مرضك أنك قتلت الكثيرين وخفت انتقامهم، وليس أمامك من علاج، إلا أن تجد رجلا يحميك، ويبعد عنك الشبهات وتقتسم معه كنوزك..

قال الشيخ هذا صحيح يابنى، وأنت الرجل الذى سأقسم معه كنوزى..

قال خسرو:

سيقودنى حظى إلى ما هو أعظم

وسار خسرو حتى قابل الأسد وحكى له ما حدث، وما عرض عليه فى رحلته من المال والملك فقال الأسد مندهش

ولكنك ضيعت على نفسك فرصتين ذهبيتين.. فهز خسرو كتفيه قائلاً: خلاص.. حظى تفنج.. سيأتى ما هو أفضل من كل ذلك

فسأله الأسد: وما علاج مشكلتى أنا.. قال خسرو

إن علاج جوعك الدائم وشهيتك المفتوحة أن تلتهم رجلاً غبياً.

فقال الأسد:

وأنا وجدته بالفعل.

فسأله خسرو: من هو..

قال الأسد:

أنت.. فهل هناك أغبى منك.. لقد قدم لك الحظ فرصتين فلم تغتنم أي منهما، فماذا تريد من الحظ أكثر من ذلك؟!.. ثم إنقض عليه وأكله.

وانسدت نفس الأسد بعدها عن الطعام

تذكرت هذه الأسطورة، حينما كان أحدهم يبكى ويسب فى حظه.. فقلت له يا صديقى.. الحظ أيضاً يحتاج لمن يوقظه يهزه.. يفوقه..

لا تستسلم لليأس ولا للحقد وتقولى راحت الفرصة.. تشبث بالبقية فى حياتك، فالحظ لا يموت طالما أنت على قيد الحياة.. وليس الحظ أن تجد شنطة فيها مليون جنيه.. فقد تفقدها ويأكلك الأسد كما فعل خسرو، وإنما الحظ أن تفكر فى مليون فكرة، وتطرق مليون باب فيهديك الحظ إلى ما لم تكن تتصوره ولا تتخيله من السعادة والنعيم.

# أفرح.. ارقص.. غني

باختصار.. نحن فاشلون في التعبير عن السعادة، بينما بحق للحق نحن جميعا عباقرة في التعبير عن الكآبة والحزن والمشاكل ولذلك فحياتنا وحوارنا اليومي ما هو إلا شكوى من الاضطهاد، أو بكاء على الأطلال، أو أزمة ما لا نستطيع الخلاص منها.

فالفرحة إحساس نعيشه فقط ولا نعبر عنه، بل إننا نخشى التعبير عنه مخافة الحسد، بينما الألم.. يا عيني عليه.. يكتسب مقدرة فذة على البوح..!

ماشي يا سيدي.. يتنهد في أسى ويقول.. أنا خلاص زهقت من العيشة واللي عايشينها.. أنا ماكنتليش الجوازه دي.. مراتي دي بتموت وتنكد عليا.. مراح عندها.. عندك امبارح.. تعرف عملالي إيه.. أسأله إيه، يقول في غيظ.. قلقاس.. أهو انت صاحبي مش مراتي.. وعارف رأيي في القلقاس.. أنا شمته على الترابيزة اتعصبت رحت واخد الطبق ومطوحه م البلكونة.. يقع على مين.. أسأله مين.. يرد على دماغ صاحب البيت.. وانت عارف صاحب

البيت راجل كشر وبيتنكت ورأسه وألف سيف يوديني القسم
أسأله ورحت القسم ... يحبس فى أنسى ... رحت ياسيدى لاقيتك
مين هناك. أسأله مين يرد المقدم عبد الغنى، وأنت عارف إن كان
فيه كلاش بينى وبينه . وما صدق جات له خد عمده ... وراح عامل
محضر مضبوط.. بعل..

وظل صاحبنا هكذا يشكو من المدنيين كلهم ... ويحمل . وحده
المسئولية الكاملة عن الكآبة التى يعيشها، ونسى صاحبنا أنه فى فترات
العسل والوئام والود مع زوجته صاحبة الفقاقيس، لم يكن يذكرها
أمامنا أساساً ... فحينما كانت تعمل له المصوبات التى يحبها وتودعه
بقبلة عند الباب يبرز من بيته وهو فى قمة السعادة ... لم يحلظ يوما
ويقول لنا . أنا مبسوط قوى، أنا سعيد مع مراتى ... وحينما كان
يأتى هو وصاحب البيت الكشر إلى القهوة ويلعبان الدومينو معا وهما
يقهقهان. لم يكن يعبر عن فرحته به كجار وصاحب بيت مثالى
والمقدم عبد الغنى فى أيام الصفاء والحب ... كانت قعدة صاحبنا
المفضلة عنده فى القسم . ولكننا لا نستطيع أن نقبض على السعادة،
ونمسكها بأيدينا كما نفعل مع الكآبة ... فأنت حينما تنزل فى البانيو
مستمتعاً بحمام دافئ جميل فى استرخاء حرارى رائع ... لا تتكلم
تتكلم فقط إذا المية انقطعت أو البلاعة انسدت ... هنا تصرخ
وتشكو.. وصوتك يجيب آخر الدنيا..

يجلس في وهن، ويبدأ القعدة بجملة كلاسيكية . مش عارف يا أخي الصداع ماسكني ... ح يموتني ... وقبل أن أعرض خدماتي يسبقني ويقول لي وصباعه في وجهي ... أحذرك. أحذرك كل حاجة. مش عاوز يحل عني . لأ وإيه ... الحتة دي. يمسك جبهته، ثم يمسك يدي ويضعها على جبهته ... أيوااه . هنا ... بعره مش عاوزة تسيبني ... ثم يسد عليّاً كل الطرق ... شربت نعناع وجنزبيل ... ماحليتش

إذا هو يعرض عليّ مشكلة مستحيلة الحل، فلماذا يعرضها أساساً ... هل مثلاً لأنه يريدني أن أشاركه إحساسه بالألم مثلي ... ولكنه لماذا لم يعرض علينا هذه الشركة، حينما كانت صحته زي الفل، لماذا لم يمسك يدي ويضعها على قلبه اللي زي حديد ويقول لي ... قلبي زي الفل سامع، ثم يضعها على معدته ويقول في سعادة شايف معدة بتهضم الزلط ... أنا مية مية .

لا أحد يفعل ذلك بالطبع ... لأن الإخوة السعداء يخفون سعادتهم على أنفسهم، حتى لا يتعرضوا للوم الإخوة المكتئبين. إيه يا سيدي يعني رايق ومفرفش ولا على بالك ... شكلك صغرت عشرين سنة. شوف مرقّص إزاي؟! وشه ح يفتّق من الانبساط ... هنا يدافع الأخ السعيد عن نفسه بسرعة قائلاً ... ده من بره بس، والله بواحد جواه بلاوي بس ما بيحبش يتكلم. إنت عارف أن عيب

شيكات بكم . بلاش ... مدرح باقيس اسكر طبع بسمبه وحاحة

ده أنا في دوحة ... هكذا بصرت الكتابة على السعادة، لتي حولت في خطة طبش أن نعبر عن نفسها ... قلها توفيق الحكيم نفسه .. لو كانت قصتي سعيدة لما كتبتها.

إن الذكريات الحزينة هي الأولى بالتسجيل ... وعليه فربما نفسد لحظات السعادة نفسها ونحترز بلحظات الأليمة ... وقف في غرفة العمليات ليتلقى مولودته الأولى ... ست ري القمر ... رعريه وفرحة ... أحدها في حضنه ... و ... وبكى ... ليه يا كئيب بنعط ليه دلوقتي ... يرد ... أصلى افتكرت أمي كانت نفسها تشوف حلمي ...

وآخر ذهب ليرى نتيجة آخر العام ... ناجح ... جيد جدا ... فيبهر في البكاء .. مالك يا غم ... افتكرت تعبي طول السنة وكدت أحس متى نفرح بقى؟!! وكيف نعبر عن سعادتنا ... صدقوني إنها مشكلة، لكلاب حتت مشكلة .. فهي حينما تسعد تهز ذيلها ... و حمير أيضا حتتها . ترفس رفسة طفولية بريئة ... ثم تنهق في سرور وتمرغ نفسها في الأرض ... تريد أن تجد صيغة أدمية للتعبير عن الفرحة قال لي صديقي في سعادة ... إنت معنت حو ملعوب أبو اسكندر راحل و .. أي .. ورفسني حتة رفسة!!!

أعزائي .. في بداية القرن الماضي ... كانت مشكلة العلماء

والشلاسعه هي الوصول إلى السعادة ... والوصول ... أعتقد أن مهمتنا
نحن هي كيفية التعبير عنها ... نفسي أنص من السكوته ألاقي واحد
ماشي ... أعرف أنه سعيد ... أحس أنه سعيد ... لابد وأن تكون له
مشية معينة ... ويهز رأسه ويتمايل ويلاعب حواجبه ... يعمل بعينه
يعمل كل هذا ومحدش يفهمه غلط ... لا تعجب أفضل ... في
سنوته الأولى ... فلماذا نكتب حينما نكبر ... شبيه واحده ... صرف
على الناس ... فتحه ... الشروعة ... هذا هو الرجل الذي أتصوره
شاب وسيم مستمد ... كل عضلة في جسمه تقول ...
سعيد أهلا وسهلا ... ده ... يرد السلام ببهجة أكثر
ويقول.. أنا سعيد ... يرقص قلبي من الفرحة ... وأنا أسعد ...
يعرف أنه من دون كلمة ... يكررها ... هنا تتغير ملامحه، ويصرح
تقول أن سعيد من مصلحة المرور ... والعفريت ... هنا تتسم
من روعة المفاجأة أحمر الفكرتوني ... ده أن رجال ... مكوا رغم
أن محصرلكوا فلوس من زمان ... ياللا بينا ... نروح معه في سعاده
لأنى ذاهب إلى أحمر مشوار في حياتي ... سأدفع الضرائب. من
أحق أن يرصفوا الشوارع ويحسنوا الخدمات ... أن سلام
على السعادة ... لامطبات ولا عوادم سيارات حياة سعيدة ... ياللا
ياللا يا سعيد..

# اتفضل خد إللى إنتا عاوزه

في كثير من أفلامنا يحدث هذا المشهد.. البطل واد شقي، لا يفكر إلا في الفلوس والأحضان، ويتحرش بالبطلة طول الفيلم تحت بير السلم.. في بلكونة المطبخ.. في أي فرصة تذهب فيها البنت لكي تجهز له مشروب، يشربه بالسم الهاري.. في أي لحظة اختلاء.. يتوقف الحوار، ويبدأ حوار الأيدي.. إيده طويلة قوي البطل ده.. يمسكها من خصرها.. يشدها نحوه.. يحاول تقبيلها عنوة.. والبطلة تقاوم والبطل لزقه.. إلى أن يفيض بها الكيل وتذهب إليه في شقته.. هكذا من تلقاء نفسها.. وهي في شدة العصبية، وتنظر له بغل ثم تفتح القميص الذي تلبسه في حركة فيكشف صدرها وتقول له في غل وثورة: أهوه.. أنا قدامك إذا كان ده اللي إنتا عاوزه اتفضل.. لكن قلبي عمره ما حيطوله.

هنا.. ينكسر البطل وينظر بخجل إلى الأرض، ثم يسترها ويغطي قميصها بيده، وقد أثر فيه الموقف.. ويحدث هذا بأمر المخرج طبعا.. تحول جذري في شخصية البطل فيكف عن ملاحقته لها

ومعاكسته وفقه أدبه، شيئا لعلاقة تأخذ شكلا جديدا، هو الرومانسية، وأود هنا أن أحذر الفتيات اللاتي يشاهدن المشهد من التحول إليه في الواقع، لعدة أسباب أولا لأنه من الخطر جدا أن تفتح قميصها في جرأة وتحد وتقول له اتفضل. خد اللي أنت عاوزه، فيكون حبيبها رحيما وعفيفا، فيتفضل وياخد اللي هو عاوزه، فهذا التحول الأخلاقي الذي يتم في شخصية البطل بأمر المخرج، ليس ضروريا أن يحدث في الحياة، فإذا كان أحمد مظهر قد تعامل مع فاتن حمامة وقصر الشر في فيلم دعاء الكروان فهو لم يكن وحده ولم يكن الأمر بيده، فكان وراءه طه حسين وبركات ومصورون وعمال الاستوديو.

كما أن اللص لا يتفق مع هذا التغير الأخلاقي المفاجئ في موقف اللص بعد أن فتحت الفتاة قميصها، لأنه في الواقع يلهث طول الفيلم من أجل هذه اللحظة بالذات وبالتالي فلا أخذ تهديدها له لأنه لم يصل قلبها، مهما فعل تهديدها له قيمة، مثل واحد ح يموت على الصحن، وأنت تعطيه الصحن، وتهدده أن تحرمه من التين، ثم إنه لو كان باحثا عن قلبها لسلك طريقا آخر من البداية.

والذي يضحكني قليلا أن فتيات هذه الأيام من يكررن المشهد أيهن لا يرتدين في الغالب قمصانا بأزرار، وإنما بوديهات وستريتشات، وبالتالي فهن لسن في حاجة لأن يقلن للولد الشقي ايه اتفضل

خد اللى أنتا عاوزه. الأصح . نفصل فى اللى إنتا عاوزه . ولكن السؤال: لماذا ينكمش البطل حينما تواجهه البطلة بهذه الجملة الجريئة . وهو الذى كان منذ ثوانٍ معدودة الحصان الجامح . لماذا يتراجع وينكسف على دمه فجأة؟ طيب . وإذا حدث واستمر هذا الكسوف، وأصبح عقدة بعد أن أحبها حبا رومانسيا وتزوجها فى الحلال . وهو لا يزال مكسوفاً لم نفصل ولم يأخذ شئ هو عاوزه . كيف يمكن أن نعالج هذا الموقف؟ أعتقد أنها ـ الزوجة ـ ستعالجه أيضاً ح تقول له ضفّى وخد اللى أنت عاوزه.

أنا أعلم أن الرومانسية تحاول أن تتعامل مع القيم الإنسانية العليا. . تحاول أن ترفع عن رغبات الجسد وتطير وتحلق عاليا، ولكن لا يجب أن تضع العربة قبل الحصان، وأم كلثوم قالت «أنت مسكت وبين الحب دنيا . دنيا ماتطولها ولاحتى بحيالك»، وهذا هو التعبير المضبوط . مش تفتح له القميص وتقول له . تقدر تاخد منى كل حاجة إلا قلبى!! ده بأه استعبط رسمى . فلم أسمع رجلاً يشكو، وهو على علاقة كاملة مع واحدة، إنه مش طايل قلبها . ولكن كثيرين امتلكوا قلوب حبيباتهم، ولم يلمسوا حتى أطراف أصابعهن . وصديقى الخبيث، الذى لن أذكر اسمه لأنه عارف نفسه، المحاط بعدد من الجميلات مفجرات الأنوثة هو أكثر المستفيدين من هذا المشهد . فكلما فاض الكيل بإحداهن من

ملاحظته لها تصرخ فيه انفصل حد لي إن عاوزه إلا قلبى .
هو لا يتردد ويأخذ اللى هوه عاوزه، ويترك بيه قلبها عن طيب خاطر
وطن صاحبي هكذا حتى إنه الآن مش عارف ياخد إيه ولا يه!!

وسألني وأنا أوصله إلى مستشفى النهاية الطبيعية لأمثاله
سألني معاك فلوس؟ قلت له انفصل خد اللى انت عاوزه

فسقط على الأرض بمجرد أن سمع الحكمة ويستاهل وهو
يستاهل، الحس ليس صناعة نعطيها ونأخذها، والجسد لا نقدم
كأنه طبق محشي فلنقف وهم الأكذوبة الجسد هو القلب
هو الإحساس وإذا كانت نفسنا الخربانة تريد أن نعاقب الطرف
لسهولة على قلة أدبه فنقول له انفصل فلا يصح هذا الدرس إلا إذا
كانت وحشة، وتتضح الحميرة من الست هو يتأدب للطرف
ويتحجب كمان

في مهرجان القاهرة السينمائي، دخلت السطورة لأنونه الدائمة
صوفيا لورين بفستانها المحجرة لدى أشهر حسنها الواضح وحبها
مصر وكم تمنيت أن أضيفها سطرها أزهقتها زيد عاقبتي
عقب المشهد الشهير، وتصرخ في انفصل خد على بث عاوزه

# لاتوجد مساحة للأباحة

من الجنة هبط الإنسان إلى الأرض.. إلى الدنيا يدخلها عاريًا ويخرج منها عاريًا.

والشيء العجيب أن المرأة بقالها كتير قوى في الدنيا.. ومع ذلك لاتزال تشد الانتباه وتلفت الأنظار.. وتلهب المشاعر والأحاسيس إذ تعرت قليلا.. ولايزال الفيلم (المناظر) يحقق أعلى الإيرادات ولايزال العرض مستمرا.. بين عري النساء وهبل الرجال، ولاتزال دهشة الرجل حينما يرى امرأة تتعرى تعبر أصدق تعبير عن حبه للعبط الأزلي لديهم، يقول لزميله وهما في السينما: شايف دي.. دي ح تقلع.. يرد زميله دون أن ينظر إليه: عليا النعمة لو قطعوا المشهد لاكسر لهم السيما..

وعليه صارت وظيفة مدير الرقابة من الشخصيات التي لها نجومية خاصة.. والجمهور يعرف أسماءهم، ويشكرهم أحيانًا، ويلعن أبو خاشهم كثيرًا، وفي أستراليا ملطي مليونير مجنون تفتق عن ذهنه فكرة جهنمية.. أن يؤسس مكتبة ضخمة لايدخلها إلا رواد عراة وأمينة المكتبة التي تستقبلك عارية كذلك.. وكل من يشتغل في المكتبة كما ولدته أمه..

ويقول رواد المكتبة إن جلوسهم عراة، وهم يقرأون يشعرهم بنوع من التحرر والانطلاق، كما أنه يساعدهم على التركيز بصورة كبيرة، ولا أعلم إذا حاولت الانضمام إلى المكتبة، فهل سيسمحون لي أن ألبس حتى.. نضارة!!

ودخلت المكتبة .. أنا وصديقي الملط في مكتبة العراة. الكل منكب على كتاب أمامه ومستغرق تمامًا في القراءة .. ما أروع الثقافة حينما تشغلنا عن نوازع الجسد ورغباته البهيمية .. هذا ما همست به لصديقي الذي قال لي بحزم: طيب اقعد ما تبصحلقش .. أحاول أن أسحب كتابًا من على الرف بسرعة .. أريد أن أندمج .. في كتاب أحط عيني فيه .. ولكن الكتاب مزنوق.. معصلج.. اصطبح في يومك ده .. تتحرك المرأة الجميلة، التي كانت مشغولة بقراءة الكوميديا الإلهية لدانتي .. وتقترب مني وتقول في أدب جم: نحب أساعدك .. أقول لها: أبوس إيدك، مش عاوز أي مساعدة عشان خاطري .. بلاش منه الكتاب ده خالص .. وأسحب أول كتاب تقع عليه يدي، وألقي برأسي بين دفتيه، وتذكرت النعامة التي تدفن رأسها في الرمال وجسمها كله بره..

بعد فترة من تمالك النفس والقبض على الذات .. اكتشفت أن كتابي المنقذ هذا ما هو إلا الأعمال الكاملة لتشيكوف .. فكانت نشوة فوق نشوة .. أنا أعشق هذا الرجل .. ما أروع البساطة والعمق حينما يلتقيان .. إن شخصيته الرائعة العذبة كالماء الرقراق، تظهر دائمًا هناك

في الخلفية، وأنا أقرأ أعماله، كأنه يعطيني الفرصة لأقرأه ويحبس هو

أمامي على ... استحياء وفي طيبة، وهو يبتسم ... كأن هذا العملاق

ينتظر رأيي ... يراقب ردود أفعالي المنعكسة على وجهي ... إذ

ابتسمت ... يخجل ... وإذا قلت له الله عليك ... يقول ... لا تعمل

دوشة كده، ثم كالعادة يصدمني صدمة قاسية نهائية بعبارة

ياه يا أستاذ ياه ... هذا ما أقوله لنفسي بعد كل نهاية لتشيكوف

مفاجئة ... أدوب مع تشيكوف ... ثم أسرح وأشرد وأستطعم

المعنى.. كأنه مثل دخنة، سواء أكملتها أو لم أكملها بعد، تظل

رائحتها تملأ أنفك..

تقترب مني امرأة الشيرة التي حاولت مساعدتي وتسألني ... ما

الرواية التي تنصحني أن أقرأها؟ آخذها من يدها بكل بساطة وأقف

أمام المكتبة غريبين تماما. وأشير لها ... تدلني على الأم لجوركي

والحرب والسلام لتولستوي مهمة للغاية ... وإذا كنت تحبين الرواية

الإنجليزية، فأنصحك بقصة مدينتين لتشارلز ديكنز ... ومرتفعات

ويذرنج لإميلي برونتي ... تقول في حنان جم مرسيه، أرد ببساطة على

إيه.

يقترب مني صديقي ويهمس لي. يعني أخدت ع الجو، خلاص

يا عم، ونقف رايحين جايين في المكتبة قلت له أي جو؟ قال بحسب

ألم يعد يؤثر فيك كل هؤلاء العرب أمامك ... قلت له ... لا أرى

أي غرابة ... بين هؤلاء القراء ... بعد أن تسببهم تشيكوف كامل

ملابسهم ... بغريزي الثقافة والأناقة لا يتعب

# تعرف إبراهيم؟!!

خرج الناقد المهم بعد العرض، وجلس فى سيارته فى شارع جانبى فى انتظار الوجه الجديد، التى وافقت على دعوته للعشاء.

ركبت بجواره فى دلال، ففاح عطرها المثير ودخل فى خياشيمه وتطاير شعرها الجميل على خده، وهى تهتف به ... يا أستاذ

إيه رأيك فى الرواية؟

قال لنفسه فى ضيق: وهل هذا وقت النقد؟! ثم تجهم قليلاً، وهو يحاول أن يبدو قائلاً: هذا الممثل الجديد الذى يقوم بدور الزوج ... بشع ... ردئ ... لا يطاق

فقالت الوجه الجديد فى لوم: ده أخويا محسن يا أستاذ

فرد بسرعة: آه هوه الذنب مش ذنبه ... الذنب ذنب المخرج المخرج اللى يوجهه ... معاكوا مخرج حمار.

فردت الوجه الجديد: ونكل جسم حمار ... لأ ... ما تقولش كده ... ده خالى يا أستاذ. ده هو اللى فاضل لى من ريحة المرحومة.

فبلع الناقد ريقه، وقال ما أنا عارف حسام حسام كويس

هوه المخرج ح يعمل بيه بوحده الرواية وحشة يعنى هوه ح يعمل

م القسيح شربات. المؤلف المصيبة كلها فى مؤلف

وقبل أن ترد.. سألها.. المؤلف يقرب لك؟!

ابتسمت قائلة: لا.. ده مؤلف طلياني..

فرد بسرعة: طلياني يباه حمار.

وهكذا فإن الحكم على العمل الفنى يعد أمراً غاية فى الصعوبة لأنه يتطلب الكثير من التجرد، فإذ هممت بأن أقول لك قصيدة لشكسبير، فأنت تؤهل نفسك من البداية كى تقول الله يا سلام شريف العظمة شايف المعانى. وإذا اكتشفت فى النهاية بى ضحكت عليك، وعملت زى زكية زكريا، وقلت لك إيه رأيك ماه إبى أنا اللى مؤلف القصيدة.. هنا تتجهم وتعبس، وتطلع فيها كل العيوب والنقط المطاطة التى لم ترها، حينما كنت أن شكسبير

ويحكى أن الكاتب الروسى العظيم مكسيم جوركى كتب موضوع إنشائيا لولد من أقاربه عن أهمية الماء للبشرية. وراعى جوركى العمر العقلى والمستوى الذهنى للطفل وهو يكتب له الموضوع وكانت الدرجة التى نالها من مدرس التعبير صفر وزجر المدرس التلميذ الخايب قائلاً:

ده إنت قريت مكسيم جوركي الكاتب الكبير . قوللّه يعملك، لما تتولد في حرّه ده هوه اللي كاتب الموضوع

هز رئيس المدرس، وقال له هو اللي كاتب ده؟! ثم نظر إلى الورقة ونظر إلى تولد ثم قال له طيب سيبها شوية

إن مسألة التقييم هذه مسألة تخضع لاعتبارات متعددة ولكنها الخاتمة كانت لاختبارات الشفهية عليها ٤ من النجاح، وقد ذهبت إلى الامتحان وأنا خائف، ويدي على قلبي، فلم أكن مستعد

ووجدت لجنة فنظر الممتحن لي بنظرة ثاقبة، جعلتني ارتعد، ثم قال لي اسمك إبراهيم! قلت له لا.. قال مستغربا إزاي؟! إبراهيم ابن سوسو غلط ده انت الخالق الناطق هوه.. ده أنا مربيه.. يحنق من تشبه لا يا دكتور.. وهم بالسؤال، ثم عاد وكأنه تذكر شيئا، وقال لي أنت تعرف إبراهيم أكيد قلت له للأسف يا دكتور والأربعين اللذين هم شبهي، لم تتوفر لي الفرصة لكي ألتقي بهم بعد

تبسم وقال موجها الكلام لي ولمن حوله أصل إبراهيم ده أنا أنقذته من الموت كان جن مصور وهو صغير مرة انقلب من شنطة من الدور الخامس، وأنا جريت ووقعت ماسكه على حجر

لحظة بقى متعلق فى الهوا لحد ما شديته. أمه راحت بس
خلص. وأبوه حوله شلل مؤقت، ما شاف منظر، ونظر من
حوله وقال لهم: آه والله كان يوم فظيع. قلت له ربنا
يوفقك يادكتور، وتفتكر أن كمال قال أنقذك من إيه؟ قلت له
من السقوط، فانفجر ضاحكا، وقال لى: طيب يالا قوم
ياله ووضع الدرجة، وهو يقول لزميله مش ممكن حد من
إبراهيم!!

وهكذا نجحت فى امتحان الشفهى بقدرة قادر على الرغم من
أنى لم أكن أعرف إبراهيم.

أما فى التحريرى، فقد حدث أنى كنت أمتحن، وكان
السؤال الرابع مصيبة سوداء فهمست للمتحن أمامى: السؤال الرابع
يا يسرى الرابع.

وبدأ يسرى يكتب لى الإجابة على ورقة، ثم ثناها اللعب بحركة
استعراضية، كأنه يلعب سلة وما إن وقعت الورقة على اللجنة،
حتى أمسك بها المراقب، وتوتر الموقف. وسألنى إيه ده قلت له
فى استعباط أنا عارف؟!! أهى جلاوى وبتتحدف عليا وفتح الورقة
فوجد مكتوبا عليها «آسف يايوسف، لم أعرف إجابة السؤال
الرابع»..

ولم يستطع المراقب أن يجد من الورقة دليلاً على أنى أغش

فالورقة فى حد ذاتها هى الدليل القاطع على أنى لم أستطع الغش. وبعد خمس دقائق كنت أنا ورقة، وألقيها ليسرى وجرى المراقب والتقطها، وإذا به يجدنى قد كتبت فيها ليسرى: «أنا علطت اللى بسأل حمار زيك» وخرجت وأنا أعاتب يسرى: «قلت له أسقطت؟ المدة دى أنا واحد فيه صفر، مفيش كلام. قال لى.. أحمد ربنا.. أنا طالع منها عليا تمر.

لاشك أن عوامل خارجية كثيرة تؤثر على تفهمك للأمور. شوية مغص.. دور برد.. دمل فى مناخيرك، يمكن أن يحدث وأنت تقرأ مقالى هذا تعبى وتعب اليوم، الذى عرفتنى فيه. ولكن العرب يقولون لا رأى لحاذق ولا لحاقن. والحاذق هو الذى ضاقت نعله وحرقت قدماه حتى شعر بالألم. والحاقن الذى اضطر لأمر ما ألا يتبول. ولا رأى لهما لما يحسان من الألم والكرب؛ مما يحول دون أن تنتج قريحتهما رأيًا صحيحًا. وعليه أرجوك يا عزيزى القارئ إذ لم يعجبك مقالى.. أفعل شيئين: اخلع حذاءك واعمل زيارة قصيرة للحمام.. واقرأه مرة ثانية. هل تفعل ذلك؟!

ما رأيك فى المقال.. ياسيدى الله يخليلك... إنتا بابن علمك تعرف إبراهيم.

# أجرى.. أجرى.. أجرى..

أسوأ لحظة في حياتي هي تلك اللحظة التي أتفق فيها على فلوس أو أوقع عقدا، وهذا ليس نابعا من أني لا أحب الفلوس. لا سمح الله. إنما في الواقع لأني. بكل صراحة. أخجل. فهؤلاء الذين يدفعون لحظة الدفع يستقبلوني بود غريب وبشاشة مبالغ فيها فأشعر أني ضحية من ضحايا ريا وسكينة، تسوقني إلى مصيري المحتوم: يا أهلا.. يا أهلا.. ليمون ليوسف بيه.. قهوتك إيه وماله قهوة مع الليمون.. ده أنت صاحب مكتب.. لا.. لا ولسه نقعد هنا في المكتب في الصدارة.. أنت الأستاذ.. أتعبتك سوء شوية يا عبقري؟! الوجوه من حولي مبتسمة، والعيون مليانة بالحب العميق الشخصي المتواضع.. تماما مثل نظرة أبي وأمي لي.. ضيف، قبل أن يذهبوا بي إلى القصب عشان يضحوا بي

أدخل لأفاوض على الأجر، وفي رأسي رقم.. رقم معين.. لن أتنازل عنه مليم واحد.. وبدأ السيناريو المحفوظ منذ آلاف السنين مقدمة عن حالة البلد الاقتصادية المنهارة.. مفيش فلوس في البلد

خصوص وشهى كتر خيرنا إن إحنا نسبه سنتح. هو فيه فيلم ولامسرحية بتكسب النهاردة؟!..

وبما أنى مواطن مصرى، يجب أن يتعايش مع ظروف كل المصريين، فهذا هو ربع الرقم الذى فى رأسى يصير فى خطة ثم يضيف المنتج، وهو يشعل لى سيجارة بكل تواضع طبعًا يا جو بحب أصحاب، ومش هتتعامل زى الغرب دى شركتك وإحنا فى الآخر أسرة واحدة، وعاوزين نتحمل مع بعض وبما أنى صرت صديقًا عزيزًا، وهناك صلة دم مصلحة صارت تربطنى به فليس أقل من أن أتحامل فى نصف الرقم الذى فى رأسى على الأقل

ويتدخل شقيق المنتج باسمًا فى لطف، ويقول له بقولك إيه يوسف أنا أكبر واحد عارفه فيكوا.. ولا يوسف مش بتاع فلوس.. ده راجل فنان اللى يهمه العمل الفنى يطلع على مستوى المطلوب. إنسو فكرته الآنى جاى بأبيع ويعمل سوبة ويمشى مش ده صدقونى..

وهكذا بما أنى صرت مفكرًا وأديبًا مرشحًا لنوبل على الأقل، فيجب عليا أن أترفع عن هذه التفاهات المادية - فلوس إيه يا رجل يتقلص الرقم الذى فى رأسى إلى الربع.

ويتدخل مدير الإنتاج - حتى يحلل أجره - ويقول إحنا يا يوسف بيه لو علينا نقدر أجرك أن أحط فى المراية مفلوس حبيبه،

ويعترض المنتج بشدة قائلاً مبيوب يه يوسف معاطي مايقلش عن ٥ ملايين..

ويتدخل شقيق المنتج بحزم قائلاً فلوس أسدد كلها ما تساويش سطر يكتبه بقلمه

يومئ المنتج برأسه موافقاً مضبوط مظبوط الأجر اللي هتاخده ده مش أجر خالص. الفيلم اعتبر أنك دبهوي كدو أملغ اللي هتاخده ده مبلغ رمزي قول عليه هدية بسيطة تعبر عن إعجابنا وإيماننا بيك ككاتب، وطبعاً محدش في السوق هيعرف أنت أخدت كام.. إحنا فاهمين كويس ثم يشخط في مدير الإنتاج بلا مبرر ويقول نص سمع لو فيه مخلوق عرف أجر الأستاذ مش هيحصل كويس ويرد مدير الإنتاج بسرعة لأ مش ممكن ياريس..

وهكذا بعد مظاهرة حب السلفة نحر الرقم الذي في رأسي تماماً بعد أن تحول الأجر إلى هدية و بهدية لبست في قيمتها طبعاً، وإنما في معناها، حتى لو كانت وردة أو كارت معايدة ولايهدأ المنتج، ويقسم لي أن عنده أكثر من ٣ سيناريو جاهزين وواخدين رقابة وح التصوير إنما هو يريد أن تتشرف شركته، بأن يكون فيها اسم يوسف معاطي.

وكخدعة المصارعة يتمسه شقيقه، ويسرل بسرعة إلى الخدمة

ويضيف لكمة جديدة: بس مش معنى كده إن إحنا هنجد السرير بلاش، إنما إحنا بنقول بسم الله الرحمن الرحيم ودى لقمة عيش وبنقول يا هادى مع بعض، وإحنا حاطين حصة كبيرة عشرة أفلام. في تقييم الناس اللي تقول عليه تحفة ثم يصرخ فجأة في شيشة الأستاذ!! أنا عارف إنت تحب تشرب حجرين كده، عشان تعدل دماغك، ولكني لما عرفت إنك جاى، حضرت لك شيشة. ويجرى مسرعا لإحضار وتدخل الشيشة.

ويسألني: مبسوط ياسكة؟! أومئ برأسي ثم يقوم ويجلس بجوارى ويهمس لي: طلباتك يا جو؟! وقبل أن أرد يهمس لي مرة ثانية.. والعيش والملح اللي بينا.. أنا واحد فرحان م اسلك ما عارف ح أسدده أزاى؟! حليك جنبى معانا شوية أنت تعمل ده لينا أنت.

ها أصبحت في ورطة كبيرة، فأي رقم سأنطقه سيصدم تلك المشاعر الرائعة التي تحيط بي من كل جانب سيهدم الصداقة والحب، وسيحرمني من جائزة نوبل التي رشحوني لها.. وهذا الاستقبال التاريخي لشخصي سيتحول إلى شعر مقالة بعد لحظة واحدة. وبدأت الشيشة تدوخني قليلا وشعرت أنى أترنح فتماسكت ووقفت وحططت على رأسي محاولا - بصعوبة شديدة - أن أتذكر.. أتذكر هذا الرقم الذي حينما جئت إلى هنا كنت أنوى أن أنطقه وأخيرا فعلتها أن عدور كدا

في ثوب انسدل الشيشة اسلكه وخيمت نوجوه وخمدت
الملامح وحرجت وعرفت بعد ذلك بهم قدم خلى سى
كنت محدود على أذنى آوى أنكرو صدقتهم بى تدم
لا مش صاحب هو ده يصاحب ده مدى فوق غوت ج
القرش.

عرفتم يا أعزائي لماذا أكره خطة توقيع العقود وقبض الفلوس!؟
لازم حد يكون معايا مروحش لوحدى ويحكى أن مطربة ذهبت
إلى نيويورك لتوقيع عقد بثلاثة آلاف دولار، وأثناء التوقيع كانت أمها
معها ووجد مدير المسرح الأم تهمس لابنتها، فرفع الأجر فعلا
قليلاً ارعتلاف!! ثم عادت الأم تهمس لابنتها وصعد المدير يرفع
الأجر مرة أخرى.. خمسة آلاف منها لى كده كتير أوى، وعادت الأم
تهمس فى أذنيها، فقال مدير المسرح غاضبا يا عزيزتي أنا لا أستطيع
أن أرفع الأجر أكثر من ذلك بعد أن توقعي أو نلغي العقد، فقالت
المطربة سأوقع طبعا سأوقع ولكن أمها عادت تهمس فى أذنها
واستشاط المدير غضبا، فأحمر وجهها وتلعثمت، وقالت للمدير إن
أمي تريد من فضلك أن تذهب إلى دورة المياه

# زى ما أنت شايف

قلتها بنت بنظرة شابة محملة بتى تصف لعصف لعض كأنك لوحت شيئة أو نقش من الشمع [illegible] فأخذه سيتحطه بقول لآخر [illegible] يوسف ده ضب [illegible] حفصت تتوسع معه وتساءل [illegible] هل أن كينه من خشبه متحركة [illegible] آدم [illegible] وحيسى مزعومة هذه [illegible] هى إلا كدر ثبت بروية معينة، ولكنى من زوايا أخرى [illegible] شيطان [illegible] وشيء [illegible] ثم يعود ويقول ده [illegible] ده التى ف حبه بعبره [illegible] عبرة ما حسبها [illegible] ولكن [illegible] من [illegible] أخشاه، ومن زاوية ثالثة أحسبه [illegible] وأخشى وحده [illegible] ياعم.. بداخلى كل شىء

وزعمتها هذه فى شتت تصوره بها نوع من الاستسهال فى التعامل مع الآخرين [illegible] وهى تصعب كثير فى مأزق من الاندهاش والصدمة، حينما تجد منى رد فعل لا تتوقعه، أو لا تريد أن [illegible] فتنحسر فى الم [illegible] ده [illegible] تعبيرات [illegible] ولكنك فقط رأيت تلك الزاوية التى تجاهلتها دائما..

لقد حكمت على أنى إنسان هادئ، فحسمت رأيى [illegible] ثور وعصب

وأصبح حلم عصفور أمامنا نزعل، وهكذا نظل نرى أصدقاءنا وأهالينا وأولادنا بصورة واحدة، نحن فقط ليس برسمهم.

وقد فشلت زيجة أحد أصدقائي بسبب روعة فترة الخطوبة.. فهو كان يراها نسخة طبق الأصل من فتى أحلامه، وهي كانت تراه صورة طبق الأصل من أحمد مظهر، وعليه كانت ليلة الزواج هي "النسمة الأخيرة"، فقد اكتشفت العروسة أن فتى أحلامها "ينكرع" أثناء الأكل.. وحينما تمر دقيقة، يصبح مثل حربجي السجون، كما أنه يأتي بأفعال شنيعة حينما يكون الغداء محشي كرنب أو قرنبيط.

أما هو فقد اكتشف أن صوتها عال جدا، وأنها تموت في الفلوس، وأنها تصدر أصوات مرعبة أثناء الأكل، تجعله يشعر أنه يجلس بجوار ماكينة طحين، وأن عشقها لست ستات لا تنسى، لذى كان يبدو عليها أثناء الخطوبة.

فمن رأت المساحيق اكتشف أنها لها جذور يابانية.

وعندما تبين لهما أن الحب كله يقوم على ذلك التكسر الذي كانت ثابتة، تأخذ اللقطة من زاوية واحدة، فلما تركت ظهرت أشياء أخرى في الكادر، كانت بمثابة الصدمة.

وهناك قصة روسية رائعة عن ولد اسمه "[illegible]"، كانوا يعاملونه كطفل صغير، ولكنه صار شابا في السادسة عشرة، وكانت أمه لا تزال تساعده في الحموم وارتداء ملابسه، وتوصله إلى المدرسة وتنتظره فهرب من البيت.. ولم يعثروا له على أثر، ولكنه

وولولوا .. وذهب خاله إلى البيت؛ ليهدئ من روع الأم الثكلى ووعدها بالبحث عنه.

وبعد عدة أشهر، وبعد أن فقدوا الأمل فى عودته .. كان الخال خارجاً من المصلحة الحكومية، التى يعمل بها .. ووقف على محطة الأتوبيس .. وطلع بين المتزاحمين .. ولكن .. يالها من مفاجأة.. «إيفان» جالس على مقعد الكمسارى، يحصل التذاكر من الركاب مرتدياً البدلة الصفراء، وعلى وجهه جدية غريبة .. ولكن .. أوه .. إنه هو وصرخ الخال: ياس الإيه أنت هنا .. الله يلعن شيطانك يا إيفان .. تعمل كمسارياً، ونحن نبحث عنك فى كل مكان (ويضحك)، عمريت طول عمرك ياواد .. هئ هئ إيفان كمسارى!! هذا لا يخطر ببال أحد ثم أشار للركاب المتزاحمين حوله وهو يضحك فى سعادة .. إيفان هذا الكمسارى ابن أختى .. تصوروا .. لنا ثمانية أشهر نبحث عنه، كان لا يستطيع أن يربط حذاءه بنفسه، ولكنه بالمفاجأة هنا هئ هئ .. لا أصدق عينى .. ولكن إيفان أجابه بصراحة غريبة .. خلى من فضلك، عندى .. الركاب يريدون الدخول.. إننا سادد الطريق

وانفجر الخال ضاحكاً .. به .. وكذلك كمسارى حقيقى .. هئ هئ .. كنت أحلسه على حجرى الملعون، وأهدهد فيه حتى ينام هاهو وحده مسئول عن أتوبيس بالكامل .. منطره بالبدلة يمطس من الضحك..

هنا واجهه إيفان بسؤال كطلقة .. أين ستنزل ياخال .. قال الخال

مداعبًا يالك من ولد عفريت.. أنت تعرف أين سأنزل.. بعد ثلاثة محطات.. أنا ذاهب إلى البيت.. بيت خالتك.. محطة النصر "لا زلت تدور يا شقي.. وشد أذنه، فقاطعه إيمان، وهو يبعد يده بحدة.. وقال: ستدفع ١٥ كوبيك، وقطع التذكرة وأعطاه إياها.

تجمدت ملامح الخال بعد الجملة الأخيرة.. وقال وهو غير مصدق أتريدني أن أدفع يا إيمان.. أنا خالك، هل تريدني أن أدفع التذكرة؟!

قال إيمان بحسم: ادفع أو تنزل فورًا.. وصفر للسائق أن يوقف الأتوبيس، وقال بمحطة أو تذهب إلى قسم الشرطة.. ونظر له الخال مصدومًا، وهو يوجه كلامه للركاب: أنا خاله.. لقد حملته على رجلي حينما كان طفلاً.. لقد تلقفته على يدي لحمة حمراء.. ويريدني أن أدفع التذكرة.. لقد كنت مسافرًا إلى موسكو، وكان المحصل في القطار جارًا لأحد أصدقائي.. يعني معرفة من بعيد، وحينما عرفني أقسم ألا أدفع كوبيك واحدًا، وأنت يا ابن أختي تريدني أن أدفع.. قال إيمان من فضلك لا تعطل الركاب، ستدفع أم ستنزل!! ودفع الخال مصعوقًا، وهو يضرب كفًا بكف.

وحينما زار أخته في المساء، سألته في حزن: ألست هناك أخبار عن إيمان؟ فرد عليها بثقة: لسه مالقيتهوش.

يبدو أن الخال كان يبحث عن إيمان الذي عرفه، أو بالتحديد عن الرواية التي كان يراه من خلالها.. تلك الصورة الثابتة التي لا يقبل أن تتغير.

# امسك.. كلينتون

كلمة «سابق» فيما يختص بالوزارات والمناصب لدينا كلمة عزيزة نادرة، قليلاً ما نسمعها في العالم الثالث

المثل يقول: أنتم السابقون ونحن اللاحقون.. وعندنا نكمل المثل: السابق ممثل لاحق.. وهو عمرك أطول من عمري، والمسئول طالما هو في الخدمة يصبح محط الأنظار ووسائل الإعلام، إذا عطس أو كح، تتدفق عطسته وكحته في وكالات الأنباء في العالم كله، وهو المعزوم في كل الأفراح والمناسبات.. إذا مات من يمت له بصلة تجد حوله تجد العزاء «فول كومبليت» أما إذا مات هو شخصياً فلا يذهب أحد.. وبمجرد ما أن تسبق اسمه كلمة «سابق»، يتحول بقدرة قادر إلى شيء مجهول، دخل في خانة كلها مسلح.

وأصبح خارج نطاق الخدمة..

والرئيس الأمريكي رونالد ريجان، الذي بدأ حياته ممثلاً، ثم حاكماً، ثم رئيساً للولايات المتحدة، والذي عاش دائماً وسط الأضواء الساطعة فجأة.. النور انقطع.. نسيه الناس تماماً مسحوره

من ذكرتهم حتى أفلامه سيوف، ولكن يواجه المسكين هذا النسيان
مرير من الآخرين، فقرر أن ينتقم منهم. فسيبهم هو بعد بل نسى
كل شيء حتى نفسه، واستسلم لمرض زاحفه مرض الزهايمر
اللعين، ورمانه دلوقت قاعد في شكوته يشم الريح وحدى
وهكذا بلا حرس، فما فائدة أن تحرس شيئاً لا يذكره أحد

وأمريكا بقدر ما تصنع النجوم، مشاهد وتتيه بهم خلف السحاب،
بقدر ما تقسو عليهم بلا رحمة ... عندك ريتا هيوارث التي كانت
ملكة متوجة في هوليوود، وأنهت حياتها في الطرقات، وبتقصع في
شعرها ... ولكن .. يظل كلنتون هو أكثر الممثلين قدرة على الشفاء
وسرقة الكاميرا حتى في لحظة رحيله.

كلنتون الذي كذب على شعبه في مسألة مونيكا، ووقف وسمعه
الشريفة ما كان فيه بين وبينها حاجه، ثم عاد واعترف أمام الجميع
أنه كذب، ومع ذلك استطاع أن يخطف قلوب الأمريكان بسماحته
الحرية، ولأنه ابن كجون وطريقته العصرية، استطاع بحلمه مونيكا
أن يصفقوا الحاق عليه، ويكذبوا عليه في فترة رئاسته القصيرة، وخرج
ياموالي كما خلقتني، وشبه قوس بصوت الأرض

وبنحو حاول الرجل أن يعمل له شغلانة صغيرة كده في ما
يمشى بوابة تسد زير ... حيثما عمم أن نوح بوش دون سه فعو
كوبس، وقرر أن يضع يده على الفيمنو حرجة، التي تعترض عصبية

السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين يمكن تيجي معاه ويعملها، وسحق بذل الرجل جهودا خارقة في الضغط على الفلسطينيين، ولكنهم طنشوا، وش فتر، وفي نهاية فترة رئاسته عدت هوا، ودق على صوت هيلاري تهمس له: بوش الآن اتكلم وبيقولك: تفضلوا البيت الأبيض، عشان يجيب حاجته من بكره، وقال كلينتون لنفسه في أسى، آه.. هيه بأت كده..

وبدأ يشيل ويعبي ... هذه الهدايا الرائعة تساوي الشيء الفلاني ... أعطوها له اليابانيون حينما كان في اليابان! وهذا الطقم الصيني يعتز به جدا ... الحكومة الصينية الرقيقة المحترمة أعطوها له وهو ماشي ... والبيانو ده يا هيلاري إحنا جينا لقيناه هنا ولا أخدناه معانا؟! نظرت هيلاري إلى البيانو، وقالت دي تشيلسي بنت تتعب عليه وهي عندها عشر سنين ... وبعدين هو بوش ومراته ناقصين بيانو ... إيه فرقعة دي؟! دون على قلبهم أد كده ... شيل شيل

وخرجت الشنط تحت حراسة مشددة من البيت الأبيض، وفجأة أوقفتهم حملة على الكوبري، ونظر الضابط في ضيق إلى العربية، وقال للسائق: الحاجة دي رايحة فين وجاية منين، فأجابه السائق بثقة: دي حاجة الريس!!

فسأله الضابط: أنهو ريس؟

فأجاب سائق كلينتون: بيل كلينتون أجهولك عمى مجهول

فأجاب الضابط: الرئيس الآن هو بوش.

فأجاب السائق: لسه ما سمعتش، الراجل ده عاش لسه ما سابش البيت الأبيض.

واستطاع السائق في النهاية أن يعبر من اللحظة الحرجة بالعفو كلينتون، وهناك في بيت كلينتون الجديد جلست هيلاري وزوجها المواطن العادي جداً يرتبان البيت..

فارتدى بيل المريلة، وبدأ في تلميع الفضية، ووضع الهدوم في الغسالة الفول أتوماتيك، وفجأة دق جرس الباب.. ودخلت كبسة!! ضابط واثنين أمناء شرطة، ونظر الضابط إلى كلينتون قائلاً: أنت بيل كلينتون.. أنت متهم بسرقة بعض المحتويات من البيت الأبيض، وحليته على الأبيض، وسقط كلينتون على صدره من هول الصدمة.. يا ه بعد ده كله بتسرقوني، وخرجت الكلبة من الدهشة، حينما سمعت صراخ كلينتون وبدأت تنبح.

هنا قال الضابط: والكلبة دي كمان مش تبعك.. دي جت كده هدية وأنت رئيس.. وإذا كنت قد غادرت البيت الأبيض، فلابد من أن تغادره بكلابه، وبقبض الرجال على الكلبة وأخذوها من بين يدي كلينتون، الذي كان يتشبث بها وهي تنبح، وهو يتوسل أن يتركوها

حدوا كل حاجة إلا دى، لأم مش هى انى ولدت. الأم هى نبى
رب ونعمت وحدت مسروقت كيتوب العاوس الأولى فى
صحف والأمريكى وبدب كلها تتبعها شعف ونتسم
رغم كل شيء من هذا الرئيس لدوخوا الكذب ملاوع
لص سرق لكميرا حتى بعد أن أصبح اسمه السابق

# خير من يمثلكم

اسمحوا لي أن اختلف مع كل الفلاسفة في تعريفهم للإنسان بأنه حيوان ضاحك، أو حيوان ناطق، أو حيوان يفكر، أو حيوان باكي. فالكلاب تضحك وتهز ذيلها في سعادة.. والببغاوات تنطق وتثرثر كما يحلو لها.. والنمور والفهود تفكر وتخطط، قبل أن تنقض على فرائسها والتماسيح تبكي وتدمع.. إذا فالتعريفات الإنسانية لاتختلف كثيرا عن الغابة الحيوانية.. منهم إلا في أن الإنسان حيوان لابس. وهذه النظرية أيضًا ثبت لي خطأها تمامًا، حينما كنت في زيارة قصيرة للغردقة وشرم الشيخ حيث يرقدون على الشواطئ، كما لم تلدهم أمهاتهم طبعًا.. فهم أكثر من ذلك سنًا وبصحة، وقد طالت زيارتي قليلاً هناك ليس للفرجة عن والله، وإنما لتفسد نظريتي هذه..

وعليه قررت أن أبحث عن تعريف جديد للإنسان فلا يصح أن يظل هكذا بلا تعريف ولا هدوم..

وأخيراً.. وجدته... الإنسان حيوان سياسي.. ما رأيكم؟

أليس هو الكائن الوحيد الذي اختار أفراداً منهم ليعبروا عن المجموع، وأطلق عليهم رجال السياسة .. والحمير ليس بينها حمار يدافع عن حقوقها أو يتكلم باسمها .. والكلاب باختلاف أنواعها من الولو والبودل والوولف .. حتى كلاب الشوارع .. لا تجد كلباً يمثلها .. وصار أمراً غاية في الأهمية أن تختار الجماعة ممثليها.

ومن هنا نشأت الجمعيات والنقابات والوزارات والبرلمانات تلك الظواهر الإنسانية الحضارية التي تفرد بها الإنسان .. ولو تصورت مثلاً أن مجلساً للغابة انعقد في مكان ما، وحضره الأسود والنمور والغزلان والوعول، لانتهى المجلس بمذبحة كبرى، وكانوا انقضوا على بعض، وهذا التحول السياسي هو فخر البشرية بلا أدنى شك، فتخيلوا معي لو كان كل واحد عايش لوحده، لا أحد يمثله أو يعرض مصالحه، لصرنا في غابة كبرى.

وهذا تماماً ما حدث، مندوب الإنجليز حين حينما وجد مصر بلا حاكم يحكمها «أنا أحب أكلم مصر أكلم مين؟»، فرد عليه أحدهم اضغط زيرو اثنين، وبعدين نمرة حتلاقي اللي يرد عليك، ونعرف حقاً أن هذه الفوضى العارمة التي تحرق البلاد ولا يترك عليها أثراً يصل أحد لكلمته، وقديماً كانت الطبول هي علامات بداية الحروب والدمار..

الآن صارت التصريحات السياسية هي الطبول الجديدة .. فهذا

عدى ابن الرئيس العراقى يعلن أن الكويت الشقيقة لازالت جزءاً لايتجزأ من العراق الشقيق.. وزعم أن الخلاف بين ثنين أشقاء، يتدخل بوش الابن، ويدك العراق مواصلاً مشوار أبيه، مدافعاً عن حقوق الدسار الكويتى، متناسياً تماماً أنه إذا وصل فرد كعب كده لحد إسرائيل الشقيقة، سيجد تصريحاً من شارون بأنه سيدك السد العالى فى مصر الشقيقة ولكنه هذه المرة لا يتحرك ولا يقول له اختشى ربما لأن شارون قدمه أبيض، هو عصى شويه، إنما من جوه بفته بيضا..

ويتميز الحيوان السياسى بأنه إذا افترس شعباً غلباناً ضعيفاً يقدم للعالم حيثياته ومبرراته.. فينهال التصفيق والتأييد، بينما إذا افترس دئب قطيعاً من الحملان لا يصفق له أحد ربما لأنه حيوان فقط، وليس سياسياً بالطبع، فلا تزاحمه الميكروفونات ولا الأسئلة من الصحفيين ليرد عليها بمهارة ودهاء

والناس تحب أن تسأل السياسيين حتى لو لم يصدقوا فالعملية كلها تمثيل فى تمثيل فهو «ممثل» الشعب وما يحدث ما هو إلا «سيناريو»، كما يطلقون عليه هذه الأيام، لذا يتمتع السياسة بحكومية لا تقل عن حكومية الممثلين، إن لم تزد فهذا وستون تشرشل يوقف تاكسياً، ويطلب منه الذهاب إلى محطة الإذاعة فيعترض السائق ويقول له: لا يا باشا المشوار بعيد وأنا لازم

أروح البيت، عشان سمع خطبة تشرشل. ويسعد تشرشل جداً حينما يسمع ذلك من السائق الذي لم يعرفه. فيقول له معرفاً إياه ح أديلك عشرين جنيه. فيهتف السائق سعيداً: يا باه ملعون أبو تشرشل راكب يا بيه. والعلاقة بين الناس وساستهم علاقة سيكوباتية. فهم يحبونهم أحياناً ويلعنونهم كثيراً. يؤمنون بهم ثم يكفرون بهم. ولكن تظل العلاقة سوية، طالما أن الحوار بينهما لم ينقطع.

وذكر المقريزي أن حكيمة تدعى "نويبه" كانت تحكم في زمن ما وهي محتجبة عن الناس، إلا أنها جعلت في سور القصر ثقوباً من النحاس المجوف. وكتبت على كل ثقب موضوعاً من الموضوعات، التي تهم المواطن فكان كل من أتاها لنصيحة أو رأي أو شكوى وقف عند الثقب، وتكلم بما يريده أو يشكو منه. فإذا فرغ من قوله، جعل أذنه في الثقب، فيأتيه جواب ما سأل عنه. وفكرة "نويبه" الرائعة هذه نقدمها إلى الحكومة. لأن ثقوب التواصل بينكم وبين الناس يجب أن تظل دائماً ممتدة مفتوحة. وإن كنت أخشى أن الثقوب ربما يكون معطلاً أو خارج نطاق الخدمة.

# إيـه الأخبـاااار؟!

من صاحية بس وأنا على هذا الحال.. لكن يطرق الباب ويعطيني فاتورة وتطلب فلوسا.. هذه فاتورة كهرباء بخمسين جنيه؟! ليه.. أسأل زوجتي إحنا عملنا فرح الشهر اللي فات؟ ولا حاجة.. لا ترد وتنظر لي كأنني عبيط أكلم نفسي. وفاتورة الغاز بخمسين جنيه؟! ليه.. أعود وأسألها.. إحنا فتحنا مطعم وأنا مش عارف!! لا ترد وتنظر لي باستهزاء كأنني مش حاسس بالدنيا، ثم تأتي الطامة الكبرى.. فاتورة التليفون.. نعم!! كم؟! ألفين وسبعمئة جنيه. وقبل أن أسألها سؤالي التقليدي.. تصرخ في زهق قائلة

أنت اللي بتتكلم.. وأنت اللي بتقعد طول الليل فاتح النور.. ولا إيه.. بتقرأ.. وأنت اللي ماتبطلش زعق في التليفون.. فعلام تعترض؟! الحمد لله.. أن معاك موبايل.. ونام بقى وسيبني من الساعة ٩..

قلت لها في يأس..

أنا لا أعترض، ولكن ع الصبح كده!! وسهمت في حسرة على نفسي

اسمع حمر كوبس   مصرق لمب   وبأتيني حوب الصرب   ن
أعرف هذا النموذج جيد   نموذج ١٩   فهو يرفع ى سكر
و نضغط   ستديره حرفية، سى بحب   ب دوج   سمع دوحب
حتى أثبت أنى لم أكسها..

ويحس حبوى أكبر   حيمه سدى عيب موب، باعي صوبه من
تحت   وعلما أن سدى أندى على الوب لكى نشرى ما شئت، ثم
يلمع اسيارة   ولكن أن سدى هو عيب   فهده مسألة عريبه
ولا غريبة ولا حاجة، سدى حدث أن سيره بدركت تعبر الطريق
وهشمت سيارتى، وهو يرف لى حسن هن ثرثرات عه هن اسوهد،
ب الكر يتبدد، وهو يشق لك خبر وحلو لا عم لد

أوعى تذكر حمه   لما يقولك أهوه   سه مبوثة   تشرب
كرويه   لتعرف أكثر مدى تعلم نموث   وحسمعت أنرفو
ملخوب تصنع بعض حبوبات من حديقه، حتى لا يؤثر عيبه حو
محبوق صب وحب   سى أدمين   إنه الأحمر؟   عملو
مؤسسات العلمية خصريه لا يهتم إلا بشئين حيوانات ومعاش
التى فى طالبان..

وعليه   فب أعيش يومى فى سمفونيه من الأحمر الوحشه
وبلشى صرب حيما سلاقى لا نتصافح ولا بريث ولا أهلا
ولاسهلا   وإنما نتفق بكلمه واحدة   إنه الأحمر؟ وفجأة أصبح

جميعا «مراسلين» بصورة ما ... لا ينقل بعضهم البعض إلا مجموعة من الأخبار المثيرة، ولذا أن اقترح أن يقيم جميل خبر كويس، صفحة محترمة، لتشجيع الناس على نشر الأخبار المفرحة

وهذا النظام كان معمولا به في العهد التركي، وجرت العادة أن ينعم بلقب «بك» على أول من يحمل البشرى إلى الوالي الجديد بتوليته عرش مصر، وأن ينعم عليه بلقب «باشا» إن كان «بيك» وكان سي بك يشغل في ذلك الوقت في منصب مدير مخابرات إسماعيل في السراي الخديوية، وكان يعلم بخطورة المرض على الخديو سعيد، ودنو أجله، وما ينتج عن ذلك من انتقال العرش إلى «إسماعيل»، وكان سي بك يطمع في نيل الباشوية، لذا فإنه لم يغادر الآلة التلغرافية مدة ثمانية وأربعين ساعة ليتلقى البشرى، ويكون أول من يحملها إلى إسماعيل. ونام سي بك من شدة التعب والسهر ولم يقو على الاستمرار. ولم يطق هذا ... النعاس فاستدعى الساعي الذي يعمل عنده، وأمره بالبقاء بجوار الآلة التلغرافية حتى يذهب إلى مخدعه ويستريح قليلا، وأمره إذا وردت أي إشارة تلغرافية، فعليه أن يوقظه في الحال، وله مقابل ذلك خمسمائة قرش. وألقى بجسده المنهك على السرير، وراح في سبات عميق.

وفي تلك الليلة ١٧ يناير ١٨٦٣، جاءت الإشارة ونقلها هذا

الساعى العجوز، وجرى على سراى الأمير إسماعيل، ضمنا المثول بين يديه [illegible] جثا على قدميه وقدم إليه الإشارة، فقرأها إسماعيل والبشر ملأ وجهه، ونظر إلى الساعى الجاثى تحت قدميه، الذى تلقى الإشارة حيثما وقعت من يد الخديو إسماعيل من فرط فرحه، ووضعها الساعى فى جيبه، وتبسم إسماعيل قائلا وهو يربت على كتفه.. انهض يابك ونفحه نفحة عظيمة..

وعاد الساعى إلى رئيسه ونقصه وأعطاه الإشارة، فسر بنى بك جدا وأعطاه خمسمائة قرش، وأسرع بالإشارة إلى سراى الأمير إسماعيل، [illegible] فلما مثل أمام إسماعيل هتف به الخديو قائلا به [illegible] وعرض بنى بك عليه الإشارة فقال الأمير [illegible] قد أصبحت هذه خبرا قديما.. فأدرك الرجل فى الحال خديعة الساعى، فاستشاط غضبا، وعاد إلى مكتبه واستدعاه وأمسك به [illegible] ولكن الساعى دفعه بشدة، وقال.. اخرس.. إحنا بقينا بهوات زى بعض.

[illegible] الساعى [illegible] شخصها [illegible] ولا يكفى [illegible] حتى [illegible] مثل [illegible] لها الرجل الذى ذهب إلى [illegible] فى [illegible] فقال إسماعيل.. وإيه الجديد طب ما أنا عارف..

# حتة حديدة

لاشك أننا نحب أن نعجب، لا أن نضحك أو نسخر من هذا الاختراع الكبير، اختراع الأوسمة والنياشين والجوائز .. فهو اختراع قوة أدبية هائلة، يفوق أهم الاختراعات، إذ يجعل الناس يقتحمون الصعاب ويبذلون أقصى الجهد لكي ينالوا في النهاية .. حتة حديدة يرون فيها أمجد مجد وأشرف شرف .. هذا جنون بلا شك .. ولكنه جنون جميل

ويروى لنا التاريخ حادثة ذلك الكونت الذى عيّره ملك ذات يوم وقال له: من جعلك كونتا؟! فأجابه الكونت ويده على سيفه: أنت يامولاى، ولكنى الذى جعلتك ملكا!!

والبداية فى تصورى كانت رومانية .. حينما كان يتم تقليد الرومانى على بطولته بعلامات، يتزينون بها فى الحفلات العمومية وأشهرها الأكاليل .. إكليل المعسكر لأول جندى يدخل معسكر الأعداء .. وإكليل الحصن .. لأول جندى يهاجم قلعتهم .. ثم هى العصابات الكبرى التى كان الأبطال يباهون بها ويسعون لنيلها

والدولة العثمانية كانت بلاشك من الدول الرائدة في حكاية [illegible] والأوسمة والألقاب، فكان يسبق اسم الشخص دائماً لقب [illegible] عزتلو [illegible] سعادتلو أفندم [illegible] دولتلو رفعتلو عطوفتلو [illegible] مكرمتلو [illegible] شخصيا [illegible] حكاية الألقاب هذه على [illegible] صفاتلو افندي.. سعادتلو بك.. دماغتلو باشا..

ويقال إنه أثناء الحرب [illegible] فوكه الفرنسي [illegible] في الحرب، وبعدها [illegible] بالنياشين [illegible] «فوكه» [illegible] النياشين [illegible] ولم [illegible] على صدره، إلا بعد [illegible] حطها على صدره، وقال لهم [illegible] نفسه.

وقد حدث [illegible] في مصر [illegible] [illegible] يوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

فنظر السادات إلى مدير السلاح، وقال له: الكلام ده مضبوط؟! فأومأ مدير السلاح برأسه مضطرًا، فقال السادات للصحفيين صوره وياخد نجمة سيناء ووسام البطولة. وعاد الحق إلى الراحل ولكن الطريف أن لصًا اقتحم شقته ذات ليلة، وسرق الأوسمة كلها فقد كان يظن أنها من الذهب، ويبدو أن الراحل ده ما بيعتبروش أوسمة..

ويقال أن بوليس باريس لقي شابًا، يتمشى في الشانزليزيه متقلدًا وسام «الليجون دونير» فارتابوا في أمره.. فهذا الوسام لا يحمله إلا الشيوخ من العظماء، الذين أتوا في حياتهم أعمالاً جليلة.. واقتادوه من قفاه ع القسم.. وسأله الضابط عن اسمه ولقبه وسبب تقلده هذا النيشان العظيم، فأجاب الشاب بكل بساطة.. أن عمه نوبل ملك البترول السابق.. فانحنى الضابط باحترام واعتذر له فورًا.

وإني لأعجب من البعض الذين يكلمون اللجان، حتى تمنح الجوائز ويلحون عليهم أن يعطوهم الجائزة.. وأعجب أكثر حينما تعلن اللجنة فوز الفنانة فلانة بالجائزة الأولى.. فإذا بها تصرخ من هول المفاجأة.. وتبكي بدموع الفرح، مع أنها مخلصة الموضوع بالليل في التليفون، وإذا كان لها أن تحصل على جائزة أحسن ممثلة فأنا أعطيها الجائزة على المشهد الذي مثلته، وهي تستلم الجائزة.

# زائـــد ناقـــص

أسدل الستار بمجرد ما أن أدخل إلى حجرتي، أحب الحجرة أن تكون كحل، لأنني أحيانًا أخرج شريط الذكريات وحدي لأشاهده في الظلام، ولا أريد للشريط أن يحرقه شعاع ضوء يتسرب إلى الحجرة، أضع شريط السنة الماضية، أضغط على زرار الترجيع، وأتفرج من البداية، ما الأشياء التي أريد أن أعمل لها مونتاج، ما الذي أريد أن أحذفه من السنة الماضية، وما الذي أريد أن أحتفظ به، أو آخذه معي للسنة الجديدة.

في الظلام جلست وحدي أشاهد نفسي، فوجدتني لا أبكي على الأشياء التي فقدتها، ولا أسعد بالأشياء التي حصلت عليها.

إذا حسبتها ستجد أنها في الآخر محصلة نصفها، وستجد نفسك في جميع الأحوال «زائد وناقص» في الوقت نفسه، إذ زادت شهرتك وفلوسك، نقص عمرك وراحت صحتك، وإذا وصلت إلى ما تتمناه وحققت طموحك وأحلامك، تجد نفسك في النهاية، في خريف العمر تتفرج على نفسك، على فيلم حياتك، وتستعرض الأشياء التي وقعت منك في الطريق، ستتذكر سعادة

التهمك لساندوتش طعمية ساخنة حرمت منها لأن الأسباب صحية، رغم أنك حينما كنت تأكلها، كنت تفكر في لكباب وتلعن حظك

وبقدر ما تعطي الحياة، بقدر ما تأخذ وهي تحاسبك بالمليم، فإذا هبطت عليك ثروة من السماء لاتسعد كثيرًا، وبل إسأل نفسك من أين ستسدد للحياة هذا الدين؟، من راحة البال أم من الصحة أم من الهناء العاطفي، وإذا وقعت لك مصيبة من حيث لاتدرى فلاتحزن على الإطلاق، فسيأتى الفرح بالقدر نفسه، وإذا آمنت بذلك فعلا - وأنا أعلم أنك لن تؤمن به - سيودعونك الحانكه فورًا

تخيل منظرك وقد كسبت مليون جنيه في اليانصيب، وأن تبكي وتلطم على وجهك وتخبط الأرض بقدميك، وتدعى على نفسك خوفًا من المصيبة القادمة، سيقول بك الناس بعد أن هبطت عليك هذه الثروة فجأة: شد حيلك، كلنا لها ماترعلش نفسك، ياساتر يارب، مليون جنيه!! يزولوا بإذن الله، وتخيل منظرك، وقد نزلت من البيت، فوجدت سيارتك محطمة، بعد أن دخل فيها لورى عجنها!! تخيل منظرك وأنت سعيد سعادة لاحد لها، مزقطط زقططة لا مثيل لها والكل يحسدك، ويقول لك مبروك ياسيدى دى مكتوبالك، آدى تلت عربية تتعور لك أهوه، شوف الخير اللي جاى لك بقى!!

وفي النفس الإنسانية، هذا التناقض الغريب، فأنت حينما تضحك

تدمع عيناك، وحينما تبكى بشدة يمكن أن تنفجر فجأة من الضحك، القنوت موصله للعصبية وهذا لا تلح على الدنيا، ولا تلح على رزقك، فالرزق عنيت جداً، إذ قرر أن يجىء لك، سيطرق بابك ويسرق قطعة من النوم وسيصل إليك، وإذا جريت أنت وراءه، مهما فعلت، لن تطوله، طالما أنه ليس لك والخير؟! قال لي صديقى المتفائل، قلت له، سيب يديك حالص، واعمل كما قال لك أستاذ يحيى حقى خليها على الله.

لم يعان أحد من الفقر كما عانى نور وجدى... جوع وبرد ونوم فى الشوارع، وكانت أمنيته أن يمتلك عمارة، ويناهز وعزم الأصدقاء ليفتتح العمارة الحلم، وإذا به يقول أستطيع أن أكتب سطرا عن العمارة الآن فوق الطبيب الذى يسمح لى بأن أغمس لقمة فى صحن الملوخية، وهذا عبد الحليم لم يحقق أحد ما حققه، شهرة وفلوس وحب الناس، وبات رأى القمر يتمنى نظرة من العندليب، والثمن!! مرضه وفقده بلا زواج طول حياته، بلا ابن أو بنت تؤنس وحدته، لو سألت عبد الحليم فى بهجة حياته بالتأكيد، كان سيقول لك به دفع الثمن غاليا، وربما عبى لك فى تأثر شديد، توبة توبه..

لذلك كن حريصا جداً وأنت تمد يدك وتأخذ شيئا من الدنيا، فأنت لا تعلم أنك تكتب على نفسك شيكات عالية الفوائد، ولأنك عبد

تتمنى ما ليس عندك، فأنت أيضا لا تعرف حقيقة ما تتمناه هذا، فإذا تمنيت الحرية وحصلت عليها، تكتشف أنها ضياع وفوضى ووحدة قاتلة، وإذا تمنيت الاستقرار وعملته وتزوجت، ستجد أنه خنقة ونكد وهموم متلتلة، والمتمنون فى هذه الدنيا، هم الذين يريدون كل شيء، ولهذا لا "تفرج" على أحد أو تتصور ما معه، فقط خذ تبعة على بعضها، وقبل أن تقول كيف حقق فلان كل هذا، قل ما الثمن الذى دفعه لكى يصل إلى هذا، وإذا وجدت التبعة حلوة، احسده زى ما أنت عاوز. وأنا واثق أنك لن تقبل التبعة، فقبل أن تحسد حتى المليونير وفلوسه التى زى الرز، اعرف أولا كم قدم من تنازلات ومن الصعوبات التى واجهته حتى يخرج بالأرانب إلى النور! وقبل أن تحسد الراقصة المشهورة على سيارتها الفارهة، التى تتمخطر فى الطريق، اعرف تاريخها، مش تاريخ السيارة بل تاريخ الراقصة، وإذا كنت تستطيع أن تفعل ما فعلته هى، حلال عليك الغيرة يا عم.

حينما سئل العقاد لماذا لم يتزوج، أجاب حينما توفرت الإرادة لم تتوفر الوسيلة، وحينما توفرت الوسيلة لم تتوفر الإرادة، دائما هذا الشيء الناقص، ولكنك إذا تعمقت فيه جيدا، لوجدت أنه القوة الدافعة للحياة، إنه أشبه بقطعة خفية فى مسلسل بوليسى طويل متشابك الأحداث، وقال الملك فريد شوقى، زمان كان التمثيل صعبا والسهر سهلا، دلوقت التمثيل بقى سهل والسهر هو اللى

صعب. وإذا راجعت حساباتك، وأنت فى بداية العام الجديد، ستجد أن الحساب متقفل، لو كنت قد فقدت حبًا فستجد أنك قد كسبت نجاحًا، وإذا فقدت فلوسك ستجد أنك كسبت صحتك، وإذا كانت سيارتك انشدشت أدبك وضبت الشقة، هكذا ياعزيزى شىء بالزائد وشىء بالناقص.

قال لى صديقى التعس الكئيب كان عامًا رهيبًا توفيت حماتى، وطلقت زوجتى، قلت له أنت ستزول منك النعمة أيها الجاحد إن كل هذا بالزائد ياعبيط.

# النهايات المفتوحة!

تقولّي تكره إيه في حاجات؟ قولّلت النهايات المفتوحة.. يعني أنت تقعد مسمرى ساعتين قدام الفيلم، ومشكلات بتتعقد ومشكلات بتتحل.. وفي النهاية حضرتك عاوز تسيبني والنهاية مفتوحة؟! قال لي وهو يهرش في رأسه، ثم يثبت نظارته الطبية على أنفه. علشان تفكر.. فالنهاية المفتوحة هي النهاية الواقعية.. الحياة نفسها مفتوحة.. لاتنتهي.

قلت له: شوف.. لو ليلى مراد وأنور وجدي ما اتجوزوش في آخر الفيلم يجيلي نقطة.. لو فريد شوقي ما انتقمش من كل اللي ظلموه في آخر الفيلم.. واحد ورا التاني.. حد ما يحصل عليهم.. أتضايق.

قال لي: وهل كل قصص الحب تنتهي بالزواج؟

قلت: لا، طبعًا.. ولكن قصص الحب هذه في الحياة لا نؤلفها ولانخرجها.. إنما القصص التي نراها على الشاشة أو في الكتب، نحن الذين نصنعها، فنمد نعقد الأمور بأيدينا.. وأنا أعلم أيضا أن

عالمية النصوص فى حياة مصطفو السراج، وعايشين أحسن مني ومنك. إن النص الذى أؤلفه، ثم بعد ذلك أحكمه فى رواية أو فيلم. لص من تأليفى، أستطيع أن أزج به فى السجن بجرة قلم وأجعله عبرة لمن يعتبر..

دار هذا الحديث بيني وبين صديقي المخرج، ونحن فى قطار الصعيد، وأمامنا على الأقل تسع ساعات، حتى نصل إلى القاهرة، يعنى نهاية مفتوحة فتحة سودة.. وبالطبع يجب أن نملأ الطريق بحديث، حتى لو كان سخيفاً، طالما أننا لم نجد تذكرتين فى عربات النوم، وإلا لكانت تلك هى النهاية السعيدة المريحة لكلينا

وفجأة أطل علينا رأس لرجل كبير السن، تبدو على ملامحه الطيبة والذكاء، وقال بابتسامة رائعة

عذراً لقد شدنى حديثكما فهل تسمحان لى بالتدخل

قلنا له فى آذان صاغية صغاً.

فعلى الأقل هو سيحمل عنا عبء الحديث بعض الوقت.

قال الرجل:

النهايات التقليدية التى تنتصر فيها الخير على الشر مثلا. تصلح للحكايات الشعبية والأساطير لأن المقصود منها العظة والعبرة للسامعين.

قلت له لأنى شهيته للكلام أعطنى مثلا

فأشعل الرجل سيجارة، وقال:

في الهند القديمة كان هناك سلطان اسمه بهادرخان .. وكان السلطان، يتهيب أن يحكم بإعدام شخص حسبه أن يظلمه وهو بريء .. فتراكمت القضايا عند السلطان دون أن يقطع فيها برأي إلى أن اهتدى وزيره إلى فكرة مريحة .

وكانت الفكرة أن ينشأ ساحة مستديرة، تحيط بها المدرجات الخاصة بالسلطان والحاشية . وفي نهاية الساحة .. بابان .. أحدهما يؤدي إلى حجرة بها أسد مفترس .. والآخر يؤدي إلى حجرة بها فتاة حسناء .. ثم يؤتى بالمذنب إلى الساحة، ويطلب إليه أن يختار أحد البابين .. فإذا ساقته قدماه إلى باب الأسد .. كان مذنبا .. أما إذا ساقته قدماه إلى باب الحسناء الفاتنة . فنصيبه براءة .. وعندئذ يحق له أن يتزوجها، ويقوم السلطان بكل مصاريف الجواز على حساب السلطنة؛ لتعويضه عن اتهامه ظلما

.. وأعجب السلطان بالاقتراح، وصارت الساحة هي المحكمة التي تحدد مصير المحكوم عليهم بالإعدام ..

هنا أفقنا أنا وصديقي، بعد أن كنا نعسى في أماكننا، معجبين بل مأخوذين بحديث الرجل الشيق . وحمدنا ربنا أننا لم نجد تذكرتين في عربات النوم؛ حتى نستمتع بهذه القصة الجميلة، وفي صوت واحد قلنا له:

وبعدين!! ..

ابتسم الرجل فى خجل، وقال:

طيب أروح الحمام وآجى أكمل لكوا..

وذهب الرجل.. ونحن طلبنا اثنين قهوة ع الريحة. وطلبنا له شاى..

وعاد الرجل بسرعة وجلس، وقد صارت بيننا حميمية رائعة. واستطرد:

كان للسلطان بنت جميلة ووحيدة، تقدم لها الأمراء والسلاطين، ولم يوافق الأب لشدة ارتباطه بها، ولاعتقاده أنها أعلى من أن يزوجها لأى إنسان.

ووقعت بنت السلطان فى حب شاب من عامة الشعب. ولم تستطع أن تقاوم هذا الحب، ولا هو طبعًا، وكانت شديدة الغيرة عليه لدرجة الجنون، فانكشف الأمر.. ووصل إلى السلطان فاستولى عليه الغضب، وأرسل فى إحضار ابنته.. التى اعترفت له بكل جرأة: نعم أحبه يا أبى. أحبه أكثر من أى شىء فى الدنيا اقتلنى إذا شئت، ولكن لن تستطيع أن تقتل حبه فى قلبى.. وكبر على السلطان أن تعترف بنته العالية بحبها أمامه. وأصدر فى الحال أمره بالقبض على الشاب وإحضاره.

فلما مثل بين يديه، صرخ السلطان فيه قائلا: أتعرف ما جزاء من يتطلع لبنت السلطان؟! وتجمد الشاب وعملها على روحه، وهو

يسمع السلطان يزأر . الموت .. لا جزاء سوى أن تقتل وتعلق على أبواب المدينة .. معلش ح استأذنكوا ثانية واحدة أروح الحمام

لم يكن السلطان طبعا هو الذى قال ذلك، وإنما محدثنا الرائع الذي يبدو أنه عنده سكر ولا حاجة .. ونظرت إلى صديقى، وأنا فى غاية الدهشة، وقلت له حكاية رائعة . قال لى .. المهم القعدة . وعاد صديقنا بسرعة وهو يشد سوستة البنطلون أماما؛ حتى لا يتأخر علينا .. وقال:

بكى الشاب وتوسل إلى السلطان . أقسم له أنه لم يحرؤ حتى على أن ينظر إلى ابنته، وإنما هى التى بدأت.. هى التى حدثته، وهو... لم يستطع أن يقاوم سحرها ورقتها، وانتهى السلطان إلى قرار.. أن يدفع به إلى ساحة القضاء .

وفى اليوم المحدد جئ بالشاب أمام السلطان، وكانت ابنته تجلس بجانبه فى هلع .. وقال السلطان .. اسمع أيها الشاب .. أمامك بابان خلف أحدهما أسد جائع كاسر . وخلف الثانى أجمل فتيات المدينة .. ولك أن تختار أحد البابين بغير تردد .. وتطلع الشاب المسكين مرعوبا إلى الجالسين، فلمحت عينه يد ابنة السلطان تشير إشارة خفية نحو أحد البابين .. وكانت بالتأكيد تعرف أيهما يؤدى إلى الأسد، وأيهما يؤدى إلى حيث أجمل فتاة فى المدينة. فما أن رأى الشاب الإشارة الخفية، حتى اندفع نحو الباب الذى وجهته ابنة السلطان إليه.

و. . . معلشى مزنوق خالص. . ثانية واحدة. . وجرى إلى باب آخر. . باب الحمام. . ليس الشاب طبعًا. . إنما محدثنا العبقرى. .

قلت فى غيظ: يعنى هيه حبكت. .

قال صديقى: وماذا تنتظر. . القصة خلصت. . لقد أرشدته بنت السلطان إلى باب العروس، التى سيتزوجها بلاشك. .

قلت له بالعكس: فهل تطيق أن ترى الرجل الذى أحبته كل هذا الحب يتزوج بأجمل فتاة فى المدينة. . إن الحل الوحيد أنها دفعت به إلى حجرة الأسد؛ حتى لاتظفر به العروس ولا تظفر به هى. .

قال محتدًا: هل يمكن أن تدفع بمن تحبه إلى الموت. .

قلت له وأنا أكثر احتدادًا: وهل يمكن أن تدفع به فى أحضان امرأة أخرى. .

وظل الحوار بيننا هكذا. . وطالت غيبة الرجل فى الحمام هذه المرة، وذهبت إليه استعجله. . ولكن كان القطار قد وصل إلى القاهرة. . واختفى الرجل فى الزحام، وتدافع المسافرون إلى الرصيف. . ولم أجد أمامى غير صديقى يحمل حقائبه. . ويناولنى حقيبتى. . وأنا ألعن اليوم الذى ركبت فيه القطار. . وأقول له بيأس. . تقوللى تكره إيه فى حياتك؟!. . أقوللك النهايات المفتوحة.

# المحتويات